

القول على الأسيان

في علوم القرآن

تأليف

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ

③ محمد علوي المالكي ، ١٤١٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المالكي ، محمد علوي

القواعد الأساسية في علوم القرآن - جدة .

١٧٦ ص ، ١٤٠ × ٢١ سم

ردمك ١-٢٩٥-٣٥-٩٩٦٠

١- علوم القرآن ٢- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان

١٩ / ٢٦١٢

ديوي ٢٢٠

رقم الإيداع : ١٩ / ٢٦١٢

ردمك : ١-٢٩٥-٣٥-٩٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والنجاة .

أما بعد : فهذه قواعد أصولية يجب على كل من أراد أن يتوسع في قراءة كتب علوم القرآن معرفتها ، لأنها مقدمة لا بد منها للمبتدئين من طلاب العلم الشريف ، وقد سميناها « القواعد الأساسية في علوم القرآن » ، نسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بأصلها المسمى : بـ « زبدة الإتيقان » .

وقد قرأت كتب هذا العلم على جملة من الأئمة ، منهم : سيدي الوالد علوي بن عباس المالكي الحسيني رحمه الله ، وأرويه عنهم بأسانيدهم المفصلة في كتب الأسانيد ، ونذكر هنا سند أشهر كتب هذا الفن ، وهو « الإتيقان » بسند سيدي الوالد السيد علوي ، فقد قرأت عليه كتاب « الإتيقان

في علوم القرآن » للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، والوالد قرأه على أبيه السيد عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني ، وهو قرأه على شيخه الشيخ محمد عابد مفتي المالكية بمكة المكرمة والسيد أبي بكر شطا المكي عن شيخهما السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي البلد الحرام عن شيخه الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي عن الشيخ عبد الله ابن حجازي الشرقاوي عن الشمس محمد بن سالم الحفني عن الشيخ محمد بن محمد البديري عن الشيخ أبي الضياء علي بن علي الشبراملسي عن الشيخ علي الحلبي عن الشيخ علي الزيادي عن السيد يوسف الارميووني عن الحافظ الجلال السيوطي .

مقدمة في علوم القرآن التي هي مصطلح التفسير

اعلم أنه لا بد من معرفة مصطلح التفسير قبل قراءة التفسير ليكون الإنسان على بصيرة تامة منه ، فيعرف المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، ويترتب على ذلك فهم معاني الآيات .

ومن خاض التفسير قبل معرفة مصطلحه كان في حيرة ، وَقَلَّ نشاطه ، والتبست عليه المقاصد .

علم التفسير : هو مأخوذ من قولهم : فسرتُ الشيء ، إذا بينته ، وسمي العلم المذكور تفسيراً ، لأنه يبين القرآن ويوضحه .

وحده : هو علمٌ يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم ، من جهة نزوله كمكية أو مدنية ، ونحوه كسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالأحكام ، وغير ذلك .

وموضوعه : كلام الله عز وجل من الحيشية المذكورة .

وفائدته : التوصل إلى فهم معاني القرآن ، والعمل بما

فيه بعد الفهم .

وثمرته : التمسك بالعروة الوثقى ، والفوز بالسعادة
في الدارين .

وواضعه : الله تعالى ونبيه عليه الصلاة والسلام ، فهو
علم إلهي نبوي .

واستمداده : من القرآن نفسه والسنة وأسايب
العرب .

ومسائله : ما يستفاد منه من أحكام وعقائد ، وأمثال
ومواعظ .

ونسبته : أنه من العلوم الدينية ، بل رئيسها ، لكونها
مأخوذة من الكتاب ، ومتوقفة في الاعتداد بعد الثبوت عليه .

وفضله : أنه من أشرف العلوم وأجلها ، لأن العلوم إنما
تَشْرَفُ بشرف موضوعاتها ، وموضوعه أجل وأشرف .

وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن المشتمل على
الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية ، وهي
العروة الوثقى ، لا يهتدى إليها إلا بتوفيق من اللطيف الخبير ،
حتى أن الصحابة رضي الله عنهم على علو كعبهم في
الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليهم من مشكاة

النبوة ، كانوا كثيراً ما يرجعون إليه ﷺ بالسؤال عن أشياء لم يعرّجوا عليها ، ولم تصل أفهامهم إليها ، كما وقع لعديّ بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود ، ولا شك أنّا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة .

حدّ القرآن :

القرآن لغةً : مأخوذ من القرء ، وهو الجمع ، وعرفاً : هو الكلام المنزل على سيّدنا محمد ﷺ ، المعجز بسورة منه .
فقولنا : (الكلام) جنس شامل لجميع الكلام .

وقولنا : (المنزل على سيّدنا محمد ﷺ) فصل مخرج للكلام النازل على غيره من الأنبياء ، كالتوراة والإنجيل وسائر الكتب والصحف .

وقولنا : (المعجز) فصل ثان مخرج للأحاديث الربانية ، كحديث « الصحيحين » : « أنا عند ظن عبدي » .
ثم الاقتصار في الحدّ على الإعجاز ، وإن نزل القرآن لغيره أيضاً ، لأنه المحتاج إليه في التمييز ، فهو الأهم .

وقولنا : (بسورة منه) بيان لأقل ما يحصل به الإعجاز ، وهو قدر أقصر سورة ، كالكوثر ، وإنما كان أقل

الإعجاز بأقل سورة ، لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة ، بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها ، فتكون ثلاث آيات .
وزاد بعضهم في الحدّ فقال : المتعبد بتلاوته ، ليخرج منسوخ التلاوة .

والسورة : هي جملة من القرآن أقلها ثلاث آيات ، مسماة باسم خاص لها ، بتوقيف من النبي ﷺ ، بأن تذكر بذلك الاسم وتشتهر به .

والآية : هي جملة من السورة مميزة بالفاصلة ، وهي الكلمة التي تكون آخر الآية .

المكي والمدني

اختلف العلماء في المكي والمدني على ثلاثة أقوال :

أشهرها : أن المكي: ما نزل قبل الهجرة . والمدني: ما نزل بعدها ، سواء نزل بمكة المكرمة أم بالمدينة المنورة ، عام الفتح أو عام حجة الوداع ، في الحضر أم في السفر ، هذا هو الأصح في تعريفهما .

الثاني : أن المكي: ما نزل بمكة المكرمة ولو بعد الهجرة ، والمدني: ما نزل بالمدينة المنورة ، فما نزل في الأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني ، بل يقال له : سفري .

الثالث : أن المكي: ما وقع خطاباً لأهل مكة المكرمة ، والمدني : ما وقع خطاباً لأهل المدينة المنورة .

علامات للمكي والمدني :

وقد ذكر العلماء للمكي والمدني علامات :

منها : أن كل سورة فيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ وليس فيها ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فهي مكية ، وفي سورة الحج بعض آيات فيه خلاف .

ومنها : أن كل سورة فيها ﴿ كلاً ﴾ فهي مكية .

ومنها : أن كل سورة فيها قصة آدم عليه السلام وإبليس فهي مكية ، سوى سورة البقرة .

ومنها : أن كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ، سوى سورة العنكبوت .

ومنها : أن كل سورة ذكر فيها الحدود والفرائض فهي مدنية ، وكل سورة ذكر فيها القرون الماضية فهي مكية .

فائدة :

نزلت بالمدينة المنورة تسع وعشرون سورة : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والرعد ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمنتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، والقيامة ، والزلزلة ، والقدر ، والنصر ، والمعوذتان .

وباقى السور نزل بمكة ، وهو خمس وثمانون سورة ، إذ سور القرآن كلها مائة وأربع عشرة .

الحضري والسفري

والحضري : ما نزل بالحضر ، والسفري : ما نزل في السفر .

وأما السفري فله أمثلة ، منها : آية التيمم في سورة المائدة ، أولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ۗ ﴾ الآية . فإنها نزلت بمحل يسمى بذات الجيش ، وهي وراء ذي الخليفة ، وقيل : بالبيداء ، وهي تلي ذي الخليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة .

ومنها : سورة الفتح ، نزلت في شأن الحديبية في كراع الغميم ، واد بينه وبين المدينة نحو مائة وسبعين ميلاً ، وبينه وبين مكة نحو ثلاثين ميلاً ، ومن عُسْفان إليه ثلاثة أميال .

وأمثلة الحضري كثيرة لكونه الأصل ، فلا يحتاج إلى تمثيل لوضوحه .

الليلي والنهاري والصيفي والشتائي

وينقسم أيضاً باعتبار الزمان إلى ليلي ونهاري ، وصيفي

وشتائي .

وأمثلة النهاري كثيرة لأنه الأصل ، وأما الليلي فمن
أمثله آية تحويل القبلة .

ومن أمثلة الصيفي آية الكلالة . وهي قوله تعالى :

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة.... ﴾ إلى آخرها ،
وسماها النبي ﷺ بآية الصيف ، كما ثبت في «صحيح
مسلم» عن عمر رضي الله عنه .

ومن أمثلة الشتائي قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا
بالإفك ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وزرق كريم ﴾ في سورة النور .
ففي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت
في يومٍ شاتٍ .

أول ما نزل

اختلفَ في أول ما نزل من القرآن على أقوال :

أحدها : - وهو الصحيح - : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وهذا ثابت في « الصحيحين » وغيرهما .

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه (وهو التعبّد) الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها ، حتى جاءه الحق في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال رسول الله ﷺ : « قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ وفي بعض الروايات حتى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾ . . الحديث بطوله .

القول الثاني : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فقد روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل ؟ قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ قلت : أو ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « إني جاورت بحراء ، فلما قضيت جواربي ، نزلت فاستبطنت الوادي ، فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وشمالي ، ثم نظرت إلى السماء ، فإذا هو - يعني جبريل - ، فأخذتني رجفةً ، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قم فأنذر ﴾ .

لكن العلماء أجابوا عن هذا التعارض بأجوبة ، أشهرها أن المراد بالأولية في حديث جابر ، أولية مخصوصة ، وهي أولية الأمر بالإنذار ، أي أول ما نزل للرسالة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ وأول ما نزل للنبوة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، وهذا جواب جيد سديد .

وأجاب بعضهم : بأن مراد جابر أن سورة المدثر أول سورة نزلت كاملة ، وهذا لا يعارض أن ﴿ اقرأ ﴾ أول ما نزل مطلقاً ، لأنها لم تنزل كلها ، بل نزل منها صدرها .

القول الثالث : أن أول ما نزل الفاتحة .

القول الرابع : أن أول ما نزل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وهناك أقوال أخرى في أول ما نزل ، وكل ذلك لا يثبت من ناحية السند ، وإن صح فيتأول بأن معنى أول ما نزل على حذف (من) ، أي من أول ما نزل .

أوائل مخصوصة :

- ١ - أول ما نزل بمكة : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .
- ٢ - أول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ، وقيل : ﴿ ويل للمطففين ﴾ .
- ٣ - أول ما نزل في القتال : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ .
- ٤ - أول ما نزل في شأن الخمر : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ .
- ٥ - أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم ، رواه البخاري .
- ٦ - أول ما نزل في الأطعمة بمكة : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً وبالمدينة : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة ﴾ .

آخر ما نزل

اختلف العلماء في ذلك على أقوال ، أشهرها :

١ - أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله ﴾ ، رواه الشيخان .

٢ - وقال ابن عباس رضي الله عنهما : آخر آية نزلت آية الربا ، رواه البخاري ، وهي قوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ﴾ .

٣ - وقال أيضاً : آخر آية نزلت ﴿ واتقوا يوماً ما ترجعون فيه ﴾ .

٤ - وقال سعيد بن المسيب : آخر آية نزلت آية الدين ، قال السيوطي : وهو مرسل صحيح الإسناد .

ويمكن الجمع بين القول الثاني وما بعده ، بأنها نزلت كلها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، فيصدق على كل منها أنها آخر ما نزل ، وحيث يتأول القول الأول بأنه آخر ما نزل في شأن الفرائض والأحكام .

معرفة سبب النزول

السبب : هو الحادثة التي من أجلها نزل القرآن ، كسؤال سائل ، أو حدوث حادثة .

ثم اعلم ، أن نزول القرآن على قسمين :

قسم نزل ابتداءً ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال .

وقد تتبّع العلماء القسم الثاني و صنفوا فيه كتباً مخصوصة ، بينوا الآيات التي نزلت بسبب ، وبينوا ذلك السبب ، واجتهدوا فيه اجتهاداً بالغاً ، وأشهر مؤلّف في هذا الموضوع « لباب النُّقول في أسباب النزول » للحافظ السيوطي .

فوائد معرفة سبب النزول :

وفي هذا العمل فوائد جليّة .

منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : أنه طريق قوي في فهم معاني القرآن ، لأنّ

العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب .

ما تكرر نزوله

ذكر جماعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين أن من القرآن ما تكرر نزوله ، ولذلك حكّم :

منها : التذكير والموعظة .

ومنها : وجود المقتضي .

ومنها : إظهار فضل زائد للمتزل .

وقد ذكر بعضهم أن من ذلك : آية الروح ، والفاحة ، وسورة الإخلاص .

ويجوز أن يكون تكرار النزول لفائدة اختلاف حرف القراءة ، فتزل الآية مرةً على حرف ، ومرة أخرى على حرف غيره .

ولا يبعد أن تكون الفاتحة نزلت مرة بحرف ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ومرة بحرف ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

حُفَاطُ الْقُرْآنِ وَرُؤَاتِهِ

حُفَاطُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرُونَ جَدًّا ، لِذَلِكَ نَكْتَفِي بِذِكْرِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ حُفَاطِهِ وَرُؤَاتِهِ ، **فَمِنْهُمْ** : الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعِثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ ، وَسَالِمُ بْنُ مَعْقِلٍ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ، وَالسَّيِّدَةُ حَفْصَةُ ، وَالسَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ .

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا : أَنْ هُوَ لِأَنَّ فِقْطَهُمْ الْحُفَاطُ ، بَلْ هُنَاكَ كَثِيرٌ غَيْرُهُمْ مِثْلَهُمْ ، وَقَدْ قُتِلَ فِي غَزْوَةِ بَيْرُ مَعُونَةَ سَبْعُونَ مِنَ الْقُرَّاءِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمِثْلَهُمْ فِي يَوْمِ الْيَمَامَةِ .

وَحَصْرُ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ الْجَامِعِينَ لِلْقُرْآنِ كَامِلًا أَمْرٌ يَكَادُ يَكُونُ مَسْتَحِيلًا ، خُصُوصًا مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، وَقَتْلٍ مِنْ قَتْلِ مَنْ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِمْ .

الصحابة المشتهرون بإقراء القرآن :

أما المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة فسبعة : عثمان
ابن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت ، وابن
مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وأبي بن
كعب ، وأخذ عنهم خلقٌ من التابعين .

أئمة القراءات

ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ، في المدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام .

واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة :

١ - **نافع** ، وهو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، وقد أخذ عن سبعين من التابعين ، منهم أبو جعفر .

٢ - **ابن كثير** ، وهو عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي ، وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي .

٣ - **أبو عمرو** ، وهو أبو عمرو البصري المازني ، وأخذ عن التابعين .

٤ - **ابن عامر** ، وهو عبد الله بن عامر اليحصبي ، وأخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان .

٥ - **عاصم** ، وهو ابن بهدلة أبي النجود الأسدي ، وأخذ عن التابعين .

٦ - **حمزة** ، وهو حمزة بن حبيب الزيات ، وأخذ عن

عاصم ، والأعمش ، والسبيعي ، ومنصور بن
المعتمر وغيرهم .

٧ - الكسائي ، وهو علي بن حمزة بن عبد الله
الأسدي ، وأخذ عن حمزة ، وأبي بكر بن عياش .
ثم انتشر القراء في الأقطار ، وتفرقوا أمماً بعد أم ،
واشتهر من رواية كل طريق من طرق السبعة راويان :
فعن نافع : قالون ، وورش عنه .

وعن ابن كثير : قنبل ، والبزّي عن أصحابه ، عنه .
وعن أبي عمرو : الدّوري ، والسّوسي عن اليزيدي
عنه .

وعن ابن عامر : هشام ، وابن ذكوان عن أصحابه ، عنه .
وعن عاصم : أبو بكر بن عياش ، وحفص عنه .
وعن حمزة : خلف ، وخلاد عن سليم عنه .
وعن الكسائي : الدوري ، وأبو الحارث .

جمع القراءات على الروايات :

ثم لما اتسع الخرقُ وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة

الأمة وبالغوا في الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ،
وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور
والشاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها .

فأول من صنف في القراءات ، أبو عبيد القاسم بن
سلام ، ثم أحمد بن جبير الكوفي ، ثم إسماعيل بن إسحاق
المالكي صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ، ثم
أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني ، ثم أبو بكر بن
مجاهد ، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها
جامعاً ومُفرداً ، ومُوجزاً ومُسهباً .

وأئمة القراءات لا تحصى ، وقد صنف طبقاتهم حافظ
الإسلام أبو عبد الله الذهبي ، ثم حافظ القراءات أبو الخير
ابن الجزري .

أنواع القراءات بحسب الثبوت

اعلم أن القراءات أنواع :

الأول: المتواتر ، وهو ما نقله جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى متناه ، وغالب القراءات كذلك .

الثاني : المشهور ، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق القواعد العربية ولو بوجه ، ووافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، واشتهر عند القراء ، فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويُقرأ به ، على ما ذكره ابن الجوزي . ومثاله : ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض .

وأمثلة ذلك كثيرة ، ومن أشهر ما صنّف في ذلك « التيسير » للدّاني ، و « قصيدة الشاطبي » ، و « أوعية النشر في القراءات العشر » ، و « تقريب النشر » كلاهما لابن الجزري .

الثالث : الأحاد ، وهو ما صح سنده وخالف أحد المصاحف العثمانية أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار

المذكور ، ولا يُقرأ به .

وقد عقد الترمذي في « جامعته » والحاكم في « مستدركه » لذلك باباً ، أخرج فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد . من ذلك : ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري ، عن أبي بكر أن النبي ﷺ قرأ : « متكئين على رفاف خضر وعباقري حسان » .

وأخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قرأ « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين » .

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قرأ : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » بفتح الفاء . وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قرأ : « فرُوح وريحان » يعني بضم الراء .

الرابع : الشاذ ، وهو ما لم يصح سنده ، وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة « ملك يوم الدين » بصيغة الماضي ونصب « يوم » و « إياك يعبد » بينائه للمفعول .

الخامس : الموضوع ، كقراءة الخزاعي .

ثم هناك نوع سادس يشبه المدرج من أنواع الحديث ، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص « وله أخ أو أخت من أم » ، أخرجها سعيد بن منصور .

وقراءة ابن عباس « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » ، أخرجها البخاري .

وقراءة ابن الزبير « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويستعينون بالله على ما أصابهم » .

قال عمرو : فما أدري أكانت قراءته أم فسّر ؟ ، أخرجها سعيد بن منصور ، وأخرجها الأنباري وجزم بأنه تفسير .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ « وإن منكم إلا واردةا والورود الدخول » . قال الأنباري : قوله : « الورد الدخول » تفسير من الحسن لمعنى الورد ، وغلط فيه بعض الرواة ، فألحقه بمصحفه . فظن من جاء بعده أنه من الآية ، وهو ليس كذلك ، بل هو تفسير .

تنبيهات مهمة

التنبيه الأول : المراد من قول النبي ﷺ : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » ، - والحرف بمعنى الوجه - أن القرآن أنزل على هذه التوسعة ، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف في أداء اللفظ الواحد سبعة أوجه .

التنبيه الثاني : قال مكي : من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً . قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ألا يكون قرآناً ، وهذا غلط عظيم .

والسبب في الاقتصار على السبعة - مع أن في أئمة القراء من هو مثلهم حفظاً وفضلاً وعلماً - هو أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً ، فلما تقاصرت الهمم ، اقتصروا - مما يوافق خط المصحف العثماني - على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة به ، والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا

مع ذلك نقل ما كان عليه غير هؤلاء من أئمة القراءات
ولا القراءة به ، كقراءة يعقوب ، وأبي جعفر ، وشيبة ،
وغيرهم .

وأصحُّ القراءات سنداً : نافع وعاصم ، وأفصحها :
أبو عمرو والكسائي .

واعلم ، أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين :

القسم الأول : ما يخالف رسم المصحف ، فهذا لا شك
في أنه لا تجوز قراءته ، لا في الصلاة ولا في غيرها .

ومنه : ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به ،
وإنما ورد من طرق غريبة لا يعول عليها ، وهذا يظهر المنع من
القراءة به أيضاً .

القسم الثاني : ما اشتهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به
قديماً وحديثاً ، فهذا لا وجه للمنع منه ، ومن ذلك : قراءة
يعقوب وغيره .

التنبيه الثالث : باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في
الأحكام ، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه
على اختلاف القراءة في (لمستم) و (لامستم) ، وجواز
وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه ، على
الاختلاف في (يَطْهَرُنَ) بالتخفيف و (يَطْهَرُنَ) بالتشديد .

كيفية القراءة

للقراءة ثلاث كيفية :

إحداها : التحقيق ، وهو إعطاء كل حرف حقه ، من إشباع المد ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، واعتماد الإظهار والتشديدات ، وبيان الحروف وتفكيكها ، وإخراج بعضها من بعض ، بالسكت والترتيل والتؤدة ، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ، ولا إسكان محرك ولا إدغامه ، وهو يكون بريضة الألسن وتقويم الألفاظ .

ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات ، وتكرير القراءات ، وتحريك السواكن ، وتطين النونات بالمبالغة في الغنّات ، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وما فوق الجعودة ققط ، وما فوق القراءة ليست بقراءة .

الثانية : الحدر ، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ، وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين ،

والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ،
ونحو ذلك مما صحت به الرواية ، مع مراعاة إقامة الإعراب
وتقويم اللفظ ، وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد ،
واختلاس أكثر الحركات ، وذهاب صوت الغنة ، والتفريط
إلى غاية لا تصح بها القراءة .

الثالثة : التدوير ، وهو التوسط بين المقامين من
التحقيق والحدرد ، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ
المنفصل ، ولم يبلغ فيه الإشباع ، وهو مذهب سائر القراء ،
وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

ومن المهمات : تجويد القرآن ، وقد أفرده جماعة كثيرون
بالتصنيف منهم الداني وغيره ، أخرج عن ابن مسعود
رضى الله عنه أنه قال : « جودوا القرآن » .

التجويد

قال القراء : التجويد حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف
حقوقها وترتيبها ، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله ،
وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف

ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف ، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله : « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » - يعني ابن مسعود - وكان رضي الله عنه أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء الذين تلقوه بأسانيدهم عن شيوخهم إلى رسول الله ﷺ ، وقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً .

والقرآن له أحكام تجويدية مشروعة نصّ عليها القراء ، كما روى السلف عن الرسول ﷺ ، ومخالفتها فاسق . قال ابن الجزري :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

آداب تلاوة القرآن

يستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر ، كما ثبت في الحديث ، وتسن القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق .

ويستحب أن يجلس مستقبلاً متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه .

ويُسنُّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً ، وقد روى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه موقوفاً ، والبزار بسند جيد عنه مرفوعاً : « إن أفواهكم تُطرقُ للقرآن ، فطيبوها بالسواك » .

بقية الآداب :

ويسنُّ الاستماع لقراءة القرآن ، وترك اللُغَط والحديث بحضور القراءة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

ويسنُّ السجود عند قراءة آية السجدة .

قال النووي : الأوقات المختارة للقراءة ، أفضلها ما كان

في الصلاة ، ثم الليل ، ثم نصفه الأخير ، وهي بين المغرب والعشاء محبوبة ، وأفضل النهار بعد الصبح .

ويختار لابتدائه ليلة الجمعة ، ولختمه ليلة الخميس ، فقد روى ابن أبي داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يفعل ذلك ، والأفضل الختم أول النهار ، أو أول الليل .

ويسنّ صوم يوم الختم ، أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين ، وأن يحضر أهله وأصدقائه ، أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وأخرج عن مجاهد قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقول : عنده تنزل الرحمة .

ويُستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن ، وهي قراءة المكّيين ، أخرج البيهقي في «الشعب» ، وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة : سمعت عكرمة بن سليمان قال : قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي ، فلما بلغت الضحى قال : كبر حتى تختم ، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرني بذلك ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك ، كذا أخرجه موقوفاً .

ويسنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم
لحديث الترمذي وغيره : « أحبّ الأعمال إلى الله الحالّ
المرتحل ، الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حلّ
ارتحل » .

وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن
كعب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ قل أعوذ
برب الناس ﴾ افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى :
﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ثم دعا بدعاء الختمة ، ثم قام .

ويكره قطع القراءة لمكاملة أحد ، قال الحلبي : لأن كلام
الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره ، وأيده البيهقي بما في
« الصحيح » : كان ابن عمر إذا قرأ ، لم يتكلم حتى يفرغ منه .
ويكره أيضاً الضحك والعبث ، والنظر إلى ما يليه .

ولا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً ، سواء أحسن
العربية أم لا ، في الصلاة أم خارجها ، ولا تجوز القراءة
بالشاذ ، نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك .

ويكره اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها ، وأخرج
الآجري من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه مرفوعاً :

« من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به » .

ويكره أن يقول : نسيت آية كذا ، بل أنسيتها ، لحديث «لصحيحين» في النهي عن ذلك . ونسيانه كبيرة ، لحديث أبي داود وغيره : «عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبَ أُمَّتِي ، فَلَمْ أَرَدْ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ آيَةٍ أَوْتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَ» .

وَيَسْنَ التَّعْوِذَ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، أَي إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ .

قال النووي : وصفته المختارة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان جماعة من السلف يزيدون : السميع العليم .

وعن حميد بن قيس : أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر .

وعن أبي السمال : أعوذ بالله القوي ، من الشيطان الغوي .

وعن قوم : أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم .

وعن آخرين : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم ، وفيها ألفاظ آخر ، قال الحلواني في « جامعته » : ليس للاستعاذة حدٌ ينتهي إليه ، من شاء زاد ومن شاء نقص .

وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة ، غير براءة ، لأن أكثر العلماء على أنها آية ، فإذا أخلّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين ، فإذا قرأ من أثناء سورة استحبت له أيضاً ، نصّ عليه الشافعي .

ويسنّ الترتيل في قراءة القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنهما أنها نعتت قراءة النبي ﷺ : قراءة مفسرة حرفاً حرفاً .

وفي « البخاري » عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مداً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد (الله) ويمد (الرحمن) ويمد (الرحيم) .

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رجلاً قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة ، فقال : هذا كهذا الشعر ، إن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ،

ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع . وأخرج الآجري في «حملة القرآن» ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لا تنثروه نثر الدقل ، ولا تهذّوه هذّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة .

قال في «شرح المهذب» : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع ، قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزأين في قدر ذلك الزمن بلا ترتيل ، قالوا : واستحباب الترتيل للتدبر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشد تأثيراً في القلب .

واختلف ، هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة ، أو السرعة مع كثرتها ؟ ، وأحسن بعض أئمتنا فقال : إن ثواب قراءة الترتيل أجل قدراً ، وثواب الكثرة أكثر عدداً ، لأن بكل حرف عشر حسنات .

وفي «البرهان» للزرکشي : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وألّا يدغم حرف في حرف .

وقيل : هذا أقله ، وأكمّله أن يقرأه على منازل ، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم .

ويسنّ القراءة بالتدبر والتفهم ، فهو المقصود الأعظم

والمطلوب الأهم ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ،
قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ .

وقال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ ، وصفة ذلك : أن
يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل
آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك .

فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا
مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو
تنزيه نزه وعظم ، أو دعاء تضرع وطلب .

أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : صليت مع
النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم آل عمران
فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مرّ بآية فيها
تسييح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ .

ومن التدبر : أن يجيب نداء القرآن إذا اقتضى ذلك ،
وهو ما أشار إليه الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي :
« من قرأ ﴿ والتين والزيتون ﴾ فأنتهى إلى آخرها فليقل :
بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ﴿ لا أقسم بيوم
القيامة ﴾ فأنتهى إلى آخرها : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن

يحيى الموتى ﴿ فليقل : بلى ، ومن قرأ ﴿ والمرسلات ﴾
فبلغ : ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ فليقل : آمنا بالله .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾
قال : « سبحان ربي الأعلى » .

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه قال :
خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة
الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : « لقد قرأتها
على الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت
على قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكماتكذبان ﴾ قالوا : ولا بشيءٍ
من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » .

وأخرج ابن مردويه والديلمي وابن أبي الدنيا في
«الدعاء» وغيرهم بسند ضعيف جداً عن جابر رضي الله
عنه أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ... ﴾
الآية ، فقال : « اللهم أمرت بالدعاء وتكفلت بالإجابة ،
لييك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك ، أشهد أنك فرد أحدٌ
صمدٌ ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحدٌ ، وأشهد

أن وعدك حق ، ولقاءك حق ، والجنة حق والنار حق ،
والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنت تبعث من في القبور » .

وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر رضي الله عنه
سمعت النبي ﷺ قرأ : ﴿ ولا الضالين ﴾ فقال : « آمين » يمدّ
بها صوته .

وهو معنى إجابة القرآن .

وأخرجه الطبراني بلفظ قال : « آمين » ثلاث مرات ،
وأخرجه البيهقي بلفظ : قال : « رب اغفر لي آمين » .

قال النووي : ومن الآداب إذا قرأ نحو : ﴿ وقالت
اليهود ، عزير ابن الله ﴾ ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ أن
يخفض بها صوته ، كذا كان النخعي يفعل .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن ، والتباكي لمن لا يقدر
عليه ، والحزن والخشوع ، قال تعالى : ﴿ ويخرون للأذقان
يبكون ﴾ .

وفي « الصحيحين » حديث قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه على النبي ﷺ : وفيه : فإذا عيناه تذر فان .

وفي « الشعب » للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعاً :
« إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن

لم تبكوا ، فتباكوا » وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير أن رسول الله ﷺ قال : « إني قارئٌ عليكم سورة ، فمن بكى فله الجنة ، فإن لم تبكوا فتباكوا » .

وفي «مسند أبي يعلى» حديث : « اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن » .

وعن الطبراني : « أحسن الناس قراءةً من إذا قرأ القرآن يتحزن به » .

قال في « شرح المذهب » : وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يفكر في تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك ، فإنه من المصائب .

ويسنُّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ، لحديث ابن حبان وغيره : « زينوا القرآن بأصواتكم » . وفي لفظ عند الدارمي : « حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » .

وأخرج البزار وغيره حديث : « حُسْنُ الصوت زينة القرآن » وفيه أحاديث صحيحة كثيرة ، فإن لم يكن حَسَنَ

الصوت ، حَسَنَهُ ما استطاع ، بحيث لا يخرج إلى حدّ التمطيط والغناء ، لما جاء في الحديث : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » أخرجه الطبراني والبيهقي .

قال النووي : ويستحب طلب القراءة من حَسَنِ الصوت والإصغاء إليها ، للحديث الصحيح ، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها ، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ، ثم البعض قطعة بعدها .

ويستحب قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم : « نزل القرآن بالتفخيم » قال الحليمي : ومعناه أنه يقرأه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء ، وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ، فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته .

قاعدة في معرفة غريبه

الغريب هو معنى الألفاظ التي يحتاج إلى البحث عنها في اللغة ، ومرجعه النقل والكتب المصنفة فيه ، وينبغي الاعتناء به . فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » ، وأخرج من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » ، والمراد بإعرابه : معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ، وهو ما يقابل اللحن ، لأن القراءة مع فقدته ليست قراءة ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن ، فهؤلاء الصحابة وهو العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في الألفاظ لم يعرفوا معناها ، فلم يقولوا فيها شيئاً .

وأخرج أبو عبيد في «الفضائل» عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهِةً وَأَبَاً ﴾ . فقال : أيُّ سماءٍ تظلني ، وأيُّ أرضٍ

تقلني ، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
قرأ على المنبر : ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد
عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو
الكلفُ يا عمر .

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله
عنهما ، قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات ، حتى
أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ،
يقول : أنا ابتدأتها .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله :
﴿ وحناناً من لدناً ﴾ فقال : سألت عنها ابن عباس رضي الله
عنهما ، فلم يجب فيها شيئاً .

وأخرج الفريابي : حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كل القرآن
أعلمه إلا أربعاً : غسلين ، وحناناً ، وأوَاه ، والرقيم .

فوائد معرفة الغريب :

معرفة هذا الفن للمفسر ضرورة ، قال في « البرهان » :
يحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة ، أسماء

وأفعالاً ، وحروفاً ، فالحروف لقلّتها تكلم النحاة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال ، فتؤخذ من كتب علم اللغة .

قال السيوطي : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ، ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الصحيحة ، مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة ، وهي من أصح الطرق عنه .

وساق السيوطي في « الإِتقان » جميع ما ورد من ذلك على وجه الإِتقان والاستيعاب مرتباً على السور .

كيف يقع الغريب في القرآن :

استشكل دخول الغريب في القرآن مع أن السلامة من الغرابة من شروط الفصاحة ، والقرآن أفصح الكلام ، فيجب أن يكون خالياً من ذلك .

أجيب : بأن الغرابة لها معنيان : المعنى الأول : استعمال اللفظ الوحشي غير المأنوس الاستعمال ، وهذا مما يخل بالفصاحة ، والمعنى الثاني : استعمال ما لا مدخل للرأي فيه ،

بل يرجع معناه إلى النقل ، مثل : قسورة للأسد ، وهذا النوع واقع في القرآن ، وهو محتاج إلى البيان من أهل هذا الشأن .

قال أبو بكر ابن الأنباري : قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاجُ على غريب القرآن ومُشكِّله بالشعر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه ، ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ، ديوان العرب .

ما وقع فيه بغير لغة العرب

اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن ، فالأكثرون ومنهم : الإمام الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضي أبو بكر ، وابن فارس ، على عدم وقوعه فيه ، لقوله تعالى : ﴿ قرآناً عربياً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولو جعلناه قرءانا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آيستهء أعجمي وعربي ﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بوقوع شيء من غير لغة العرب في القرآن .

وقال أبو عبيدة : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول .

ويقابل هذا القول ، ما جاء عن بعضهم بجواز وقوع ذلك ، وأن هناك ألفاظاً غير عربية استعملها العرب وجرت مجرى الفصح ، فوقع بها البيان ونزل القرآن .

وقال آخرون : كل هذه الألفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جداً ، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة ، وقد خفي على ابن عباس رضي الله عنهما معنى (فاطر) و (فاتح) .

قال الشافعي في « الرسالة » : لا يحيط باللغة إلا نبي .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : والصواب عندي ، أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألستها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال : إنها عربية فهو صادق ، ومن قال : أعجمية فصادق ، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون .

وهذه أمثلة لتلك الألفاظ :

(أباريق) : حكى الثعالبي في « فقه اللغة » أنها فارسية .

وقال الجواليقي : الإبريق فارسي معرب ، ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هيئة .

(أبّ) : قال بعضهم : هو الحشيش بلغة أهل الغرب ،

حكاه شيدلة .

(ابلي) : أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله

تعالى : ﴿ ابلي ماءك ﴾ قال : بالحشية « إزدرديه » .

(أخلد) : قال الواسطي في « الإرشاد » : أخلد إلى

الأرض ، ركن بالعبرية .

(الأرائك): حكى ابن الجوزي في « فنون الأفتان » ، أنها
السُّرُّ بالحِشْيَة .

(إستبرق): أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه الديقاج
الغليظ بلغة العجم .

(أسفار): قال الواسطي في « الإرشاد » : هي الكتب
بالسريانية .

(إصري): قال أبو القاسم في « لغات القرآن » : معناه
عهدي بالنَّبْطِيَّة .

(أكواب): حكى ابن الجوزي أنها الأكواز بالنبضية .

(الإناه): نضجه بلسان أهل المغرب .

(أواه): أخرج أبو الشيخ ابن حبان من طريق عكرمة عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال : الأواه : الموقن بلسان
الحبشة .

قاعدة

تتعلق بالتعريف والتنكير

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال ، لأنه إما أن يكونا معرفتين ، أو نكرتين ، أو الأول نكرة والثاني معرفة ، أو بالعكس . فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأول غالباً ، دلالة على المعهود الذي هو الأصل في اللام ، أو الإضافة نحو : ﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات﴾ .

وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالباً ، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناءً على كونه معهوداً سابقاً ، نحو : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ فإن المراد بالضعف الأول النطفة ، وبالثاني الطفولية ، والثالث الشيخوخة .

وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى : ﴿فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً﴾ فالعسر الثاني هو الأول ، واليسر الثاني غير الأول ، ولهذا قال ﷺ في الآية : « لن يغلب عسر يسرين » .

وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة ، فالثاني هو الأول
حماً على العهد ، نحو : ﴿ أرسلنا إلى فرعون رسولا ۞ •
فعصى فرعون الرسول ۞ ﴾ ﴿ فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة ۞ ﴾ ﴿ إلى صراط مستقيم . صراط الله ۞ ﴾ ﴿ ما عليهم
من سبيل . إنما السبيل ۞ ﴾ .

وإن كان الأول معرفة والثاني نكرة ، فلا يطلق القول بل
يتوقف على القرائن ، فتارة تقوم قرينة على التغاير ، نحو :
﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ۞ ﴾ ،
وتارة تقوم قرينة على الاتحاد ، نحو : ﴿ ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآناً عربياً ۞ ﴾ .

قاعدة أخرى في التعريف والتنكير

اعلم أن لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر ، أما التنكير
فله أسباب ، أحدها : إرادة الوحدة ، نحو : ﴿ وضرب الله
مثلاً رجلاً فيه شركاء متشكسون ورجلاً سلماً لرجل ﴾ .

الثاني : إرادة النوع ، نحو : ﴿ هذا ذكر ﴾ أي نوع من
الذكر ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ أي نوع غريب من الغشاوة
لا يتعارفه الناس ، بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من
الغشاوات ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ أي نوع
منها ، وهو الازدياد في المستقبل ، لأن الحرص لا يكون على
الماضي ولا على الحاضر .

ويحتمل الوحدة والنوعية معاً قوله : ﴿ والله خلق كل
دابة من ماء ﴾ أي كل نوع من أنواع الدواب ، من نوع من
أنواع الماء ، وكل فرد من أفراد الدواب ، من فرد من أفراد
النطف .

الثالث : التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين أو يعرف
نحو : ﴿ فأذنوا بحرب ﴾ أي بحرب أي حرب .

الرابع : التكثير ، نحو ﴿ أئن لنا لأجراً ﴾ أي وافراً
جزيلاً .

ويحتمل التعظيم والتكثير معاً قوله : ﴿ وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل ﴾ أي رسل عظام ذوو عدد كثير .

الخامس : التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن
أن يعرف ، نحو ﴿ إن نظن إلا ظناً ﴾ أي ظناً حقيراً لا يعبا
به .

السادس : التقليل ، نحو : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾
أي رضوان قليل منه أكبر من الجنات ، لأنه رأس كل
سعادة .

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وأما التعريف فله أسباب ، فبالإضمار لأن المقام مقام
التكلم أو الخطاب أو الغيبة ، وبالعلمية لإحضاره بعينه في
ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به ، نحو : ﴿ قل هو الله ﴾
﴿ محمد رسول الله ﴾ أو لتعظيم أو إهانة ، فمن التعظيم
ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل ، لما فيه من المدح والتعظيم بكونه
صفوة الله ، أو سريّ الله .

ومن الإهانة قوله ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ .

وبالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حساً ، نحو ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ وللتعريض بغاوة السامع حتى إنه لا يتميز له الشيء إلا بإشارة الحس ، وهذه الآية تصلح لذلك .

ولقصد تحقيره بالقرب ، كقول الكفار : ﴿ أهذا الذي يذكر آلهمتم ﴾ ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولاً ﴾ ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ .

ولقصد تعظيمه بالبعد ، نحو : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ، ذهاباً إلى بعد درجته .

قاعدة في الإفراد والجمع

الإفراد : هو أن ترد بعض الكلمات القرآنية بصيغة الإفراد في غالب المواضع ، وبصيغة الجمع في مواضع أخرى .

والجمع : هو أن ترد بعض الكلمات القرآنية بصيغة الجمع في غالب المواضع ، وبصيغة الإفراد في بعضها .

من ذلك : السماء والأرض ، فحيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ولم تجمع ، ولذلك فإنه لم يرد لفظ (أرضون) لثقل جمعها ، بخلاف السموات ، ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ وأما السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد ، لنكت تليق بذلك المحل .

والحاصل : أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة ، نحو ﴿ سبح لله ما في السموات ﴾ أي جميع سكانها على كثرتهم . (تسبح له السموات) أي

كل واحدة على اختلاف عددها .

وحيث أريد الجهة أتى بصيغة الإفراد ، نحو : ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ ﴿ أمنت من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ أي من فوقكم .

ومن ذلك : الريح ، ذكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت ، أو في سياق العذاب أُفردت .

وهذه القواعد هي على وجه الغالب ، وقد تخرج عنها نصوص أجاب العلماء عنها في المطولات .

الوجوه والنظائر

الوجوه : جمع وجه ، وهو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، كلفظ الأمة ، والنظائر : كالألفاظ المتواطئة .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .
وهذه عيون من أمثلة هذا النوع ، من ذلك :

الهدى :

« الهدى » وهو يأتي على سبعة عشر وجهاً :

منها : الثبات : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .

والبيان : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ .

والدين : ﴿ إن الهدى هدى الله ﴾ .

والإيمان : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ .

والتوحيد : ﴿ إن تتبع الهدى معك ﴾ .

والسُّنَّةُ : ﴿ فبهدهم اقتده ﴾ ﴿ وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ .

والإلهام : ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ أي ألهمه المعاش .

والتوبة : ﴿ إناهدنا إليك ﴾ .

الصلاة :

ومن ذلك : « الصلاة » وهي تأتي على أوجه :

الصلوات الخمس : ﴿ يقيمون الصلاة ﴾ .

وصلاة العصر : ﴿ تحبسونهما من بعد الصلاة ﴾ .

وصلاة الجمعة : ﴿ إذا نودي للصلاة ﴾ .

والجنازة : ﴿ ولا تصل على أحد منهم ﴾ .

والدعاء : ﴿ وصل عليهم ﴾ .

والدين : ﴿ أصلوatk تأمرك ﴾ .

والقراءة : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ .

والرحمة والاستغفار : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على

النبي ﴾ .

الفتنة:

ومن ذلك « الفتنة » وردت على أوجه :

الشرك : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ .

والإضلال : ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ .

والقتل : ﴿ أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ .

والمعذرة : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ .

والقضاء : ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ .

والمرض : ﴿ يفتنون في كل عام ﴾ .

والعبرة : ﴿ لا تجعلنا فتنة ﴾ .

الروح:

ومن ذلك « الروح » وردت على أوجه :

الأمر : ﴿ وروح منه ﴾ .

والوحي : ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ .

والقرآن : ﴿ أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ .

وجبريل : ﴿ فأرسلنا إياه روحنا ﴾ .

وروح البدن : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ .

الذكر :

ومن ذلك « الذكر » ورد على أوجه :

ذكر اللسان : ﴿ فاذكروا الله كذاكم آباءكم ﴾ .

والحفظ : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ .

والطاعة والجزاء : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

والحديث : ﴿ اذكروني عند ربك ﴾ أي حدثه بحالي .

والقرآن : ﴿ ومن أعرض عن ذكرني ﴾ .

والشرف : ﴿ وإنه لذكرٌ لك ﴾ .

والعيب : ﴿ أهذا الذي يذكر أهتكم ﴾ .

واللوح المحفوظ : ﴿ من بعد الذكر ﴾ .

والثناء : ﴿ وذكر الله كثيراً ﴾ .

والصلاة : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ .

معرفة إعرابه

أخرج أبو عبيد في « فضائله » عن عمر بن الخطاب قال : تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن .
فعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ، ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً ، أو في مبادئ الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك .

ويجب عليه مراعاة أمور:

الأول : وهو أول واجب عليه ، أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أم مركباً قبل الإعراب ، فإنه فرع المعنى ، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه .

الثاني : أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة ، ويخرج على القريب والقوي والفصيح ، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر ، وإن ذكر الجميع لقصد الإغراب والتكثير فصعب شديد ، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن .

أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن إرادته ، فإن لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف ، ومن ثم خطئ من قال في : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوّف ﴾ . إن الوقف على ﴿ جناح ﴾ و ﴿ عليه ﴾ إغراء ، لأن إغراء الغائب ضعيف .

الثالث : أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة ، فتقول في نحو ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ يجوز كون ﴿ الأعلى ﴾ صفة للرب ، أو صفة للإسم .

وفي نحو ﴿ هدى للمتقين ، الذين ﴾ يجوز كون ﴿ الذين ﴾ تابعاً ومقطوعاً إلى النصب بإضمار (أعني) أو (أمدح) ، وإلى الرفع بإضمار (هم) .

الرابع : أن يراعي الرسم ، ومن ثم خطئ من قال في : ﴿ سلسيلا ﴾ إنها جملة أمرية ، أي سَلَ طريقاً موصلة إليها لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة .

الخامس : أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له ، وكتاب الله منزّه عن ذلك ، ولذا فرّب بعضهم إلى التعبير بدكّه بالتأكيد ، والصلة ، والمقحم .

حفظ القرآن من اللحن

القرآن كلام الله جاء محفوظاً من كل نقص معنوي أو لفظي ﴿ قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج ﴾ .

وقد كتب علماء التفسير عن ما يسمى لحن القرآن ، ومعناه : مخالفة الآية للقواعد العربية المقررة .

ومن ذلك قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتيتهم أجراً عظيماً ﴾ . إنه لحن ، إذ أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن يقول (والمقيمون) لأنه معطوف على ما قبله ، وهو ﴿ والمؤمنون ﴾ والمعطوف على المرفوع مرفوع .

وقالوا : إن هذا الخطأ من الكتاب ، ويستدلون على هذا بأثر ورد في هذا الباب .

والحق هو أن هذا الأثر مهما كانت درجته ، فهو في مصادمة النصوص المقطوع بها التي تدل على حفظ الله للقرآن نقلاً وكتابةً وجمعاً .

أقول : فهذا الخبر ساقط المعنى ، ولا عبرة به ،
ولا حجة فيه ، وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في
الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء ؟ ثم كيف يظن بهم
ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل ، وحفظوه
وضبطوه وأتقنوه ؟

ثم كيف يظن ثالثاً اجتماعهم على الخطأ وكتابته ؟

ثم كيف يظن رابعاً عدم تنبهم ورجوعهم عنه ؟

ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟

ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك
الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف ؟ .

هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادةً .

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة تُطلبُ في
المراجع . فمنها : أن قوله : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ منصوب
على المدح المقطوع ، بتقدير « أمدح » لأنه أبلغ ، ويصح أن
يكون معطوفاً على المجرور في ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك ﴾
أي ويؤمنون المقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء ، وقيل :
الملائكة ، وقيل التقدير : (يؤمنون بدين المقيمين) ، فيكون

المراد بهم المسلمين ، وقيل : بإجابة المقيمين ، ويصح أن يكون معطوفاً على « قبل » أي ومن قبل المقيمين ، فحذفت « قبل » وأقيم المضاف إليه مقامه .

ومن أمثلة ما قيل فيه إنه لحن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ فمقتضى قواعد اللغة العربية أن يقول : (إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ) لأنه إسم « إِنَّ » وهو منصوب بالياء نيابة عن الفتحة ، وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة كثيرة .

منها : أنه جار على لغة من يُجْرِي المثنى بالألف في أحواله الثلاث ، وهي لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لبني الحارث .

ومنها : أن اسم « إِنَّ » ضمير الشأن محذوفاً ، والجملة مبتدأ وخبر ، خبر « إِنَّ » .

ومنها : كذلك ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : « لهما ساحران » .

ومنها : أن « إِنَّ » هنا بمعنى نعم .

ومنها : أن « ها » ضمير القصة اسم « إِنَّ » و « ذان لساحران » مبتدأ وخبر .

ومما قيل فيه إنه من اللحن قوله ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ﴾ فقالوا : إن قواعد اللغة العربية تقتضي أن يقول (والصابئين) لأنه معطوف على اسم « إن » ، وزعموا أن هذا لحنٌ ، وكلامهم ساقط وباطل .

وقد أجاب العلماء عن هذا اللفظ بأوجه .

منها : أنه مبتدأ حذف خبره ، أي والصابئون كذلك .

ومنها : أنه معطوف على محل « إن » مع اسمها ، فإن محلها رفع بالإبتداء .

ومنها : أنه معطوف على الفاعل في ﴿ هادوا ﴾ .

المحكم والمتشابه

قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ .

وفي المسألة أقوال ، أشهرها وأصحها القول بانقسام القرآن إلى : محكم ومتشابه ، للآية المصدر بها .

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال :

أشهرها وأقربها وأصحها قول ابن عباس رضي الله عنهما : المحكمات ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحدوده ، وما يؤمن به ويعمل به ، والمتشابهات منسوخه ، ومقدمه ومؤخره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به .

وقيل : المحكم ما كان معقول المعنى ، والمتشابه بخلافه .

ويدخل في هذا آيات الصفات ، كالاتواء والمجيء والوجه واليد إلى آخرها .

ويدخل فيه أيضاً الحروف المقطعة في أوائل السور ، مثل : الم . والمص . والر . والمر . وكهيعص . وطسم . وطس . ويس . وحم . وحمعسق .

حكم المتشابه :

اختلف ، هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه ، أو لا يعلمه إلا الله ؟ على القولين ، منشؤهما الاختلاف في قوله : ﴿ والراسخون في العلم ﴾ هل هو معطوف و ﴿ يقولون ﴾ حال ، أو مبتدأ خبره ﴿ يقولون ﴾ والواو استئناف ؟ وعلى الأول طائفة يسيرة ، منهم مجاهد ، وهو رواية عن ابن عباس . فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ قال : أنا من يعلم تأويله .

وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصاً أهل السنة ، فذهبوا إلى الثاني ، وهو أصح الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال الحافظ السيوطي : ويدل لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » والحاكم في « مستدركه » عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنّا به) ، فهذا يدل على أن الواو للاستئناف ، لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة ، فأقل درجاتها أن يكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن ،

فيقدم كلامه في ذلك على من دونه ، ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذمّ متبعي المتشابه ، ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله ، وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب ، وحكى الفراء أن في قراءة أبي بن كعب أيضاً : ﴿ ويقول الراسخون ﴾ .

وأخرج ابن أبي داود في «المصاحف» من طريق الأعمش قال في قراءة ابن مسعود ﴿ وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون أماناه ﴾ .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب ﴾ إلى قوله ﴿ أولو الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم » .

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم من المال فيتحاسدون فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله ، وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون : أماناه

كلُّ من عند ربنا ، وما يذكرٌ إلا أولوا الألباب ، وأن يروا إذا علمهم فيضيِّعوه ولا يباليون عليه .

فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله ، وأن الخوض فيه مذموم .

الحكمة في ورود المتشابه في القرآن :

وقد أشار بعضهم إلى حكمة وجود المتشابه في القرآن مع العجز عن معرفته فقال : العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة ، كالحكيم إذا صنف كتاباً أجمل فيه أحياناً ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه ، وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره .

وقيل : لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمرَّ العالم في أبهة العلم على التمرد ، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية ، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاماً واعترافاً بقصورها ، وفي ختم الآية بقوله تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ تعريض بالزائغين ، ومدح للراسخين ، يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول ، ومن ثمَّ قال الراسخون : ﴿ ربنا

لا تزغ قلوبنا ﴿ إلى آخر الآية ، فخضعوا لبارئهم لاستئزال العلم اللدني ، بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني .

وإذا علمت أن الخوض في التشابه مذموم فلا بد من تحديد التشابه ، وهذا هو الأولى ليعلم المذموم فيجتنب ، ولذلك قال الخطابي : التشابه على ضريين :

أحدهما : ما إذا ردّ إلى المحكم واعتبر به ، عُرِفَ معناه .
والآخر : ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته ، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ ، فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه ، فيرتابون فيه ، فيفتنون .

آيات الصفات :

من التشابه آيات الصفات ، نحو قوله تعالى ﴿ فإنك بأعيننا ﴾ ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ﴿ والسموات مطويت بيمينه ﴾ .
ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد .

وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ،

ولا نفسرها ، مع تنزيهنا له عن حقيقتها المتبادرة إلى الذهن المعروفة من ظاهر اللفظ .

وذهبت طائفة من أهل السنّة إلى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى . وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه ، فقال في « الرسالة النظامية » : الذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقداً ، اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

قال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها .

وتوسط ابن دقيق العيد فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقفنا عنه ، وأمنّا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه ، قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب ، قلنا به من غير توقيف ، كما في قوله تعالى : ﴿ يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ﴾ ، فنحمله على حق الله وما يجب له .

ومن المتشابه أوائل السور ، والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور ، فقال : إن لكل كتاب سرّاً ، وإن سر هذا القرآن فواتح السور .

وخاض في معناها آخرون ، فأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ الم ﴾ قال : أنا الله أعلم ، وفي قوله : ﴿ المص ﴾ قال : أنا الله أفصل ، وفي قوله ﴿ الر ﴾ أنا الذي أرى .

قاعدة في مقدمه ومؤخره

وهو ما أشكل معناه بحسب الظاهر ، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح ، وهو جدير أن يفرد بالتصنيف ، وقد تعرض السلف لذلك في آيات .

فأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها ، أي في الآخرة .

وأخرج عنه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ .

قال : هذا من تقاديم الكلام : يقول : لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ قال : هذا من المقدم والمؤخر ، أي رافعك إلي ومتوفيك .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ لولا

فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴿ قال :
هذه الآية مقدمة ومؤخرة ، إنما هي : أذاعوا به إلا قليلاً
منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل
ولا كثير .

العام والخاص

العام : لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ،
وصيغته « كل » مبتدأة نحو : ﴿ كل من عليها فان ﴾ ،
أو تابعة ، نحو ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ .

والذي والتي وتثنيتهما وجمعهما ، نحو ﴿ والذي قال
لوالديه أف لكما ﴾ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ،
بدليل قوله بعد : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول ﴾
﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ﴾
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ ﴿ للذين اتقوا عند ربهم
جنات ﴾ ﴿ واللائى ينسن من الحيض ﴾ ﴿ واللاتى يأتين
الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا ﴾ ﴿ واللذان يأتيانها منكم
فآذوهما ﴾ .

وأي وما ومن ، شرطاً واستفهاماً وموصولاً ، نحو
﴿ أيّاماً تدعو فله الأسماء الحسنى ﴾ ﴿ إنكم وما تعبدون من
دون الله حسب جهنم ﴾ ﴿ من يعمل سوءاً يجزبه ﴾ .

والجمع المضاف ، نحو ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ ،
والمعرف بأل نحو ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ﴿ واقتلوا المشركين ﴾ .

واسم الجنس المضاف ، نحو : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أي كل أمر الله ، والمعرف بأل ، نحو : ﴿ وأحل الله البيع ﴾ أي كل بيع ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ أي كل إنسان ، بدليل ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ .

والنكرة في سياق النفي والنهي ، نحو : ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ﴿ فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ ، وفي سياق الشرط نحو : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ وفي سياق الإمتنان نحو ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ .

أنواع العام :

العام على ثلاثة أقسام :

الأول: الباقي على عمومه ، وأمثله في القرآن كثيرة وآياته كلها في غير الأحكام الفرعية ، لأن الأحكام الفرعية يصح غالباً دخول التخصيص عليها ، كما قالوا : (ما من عام إلا ويمكن أن يدخله التخصيص) .

ومن العام الباقي على عمومه قوله : ﴿ وأن الله بكل

شيء عليهم ﴿ قوله ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ﴾ قوله ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ . قوله ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ﴾ قوله ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ .

الثاني: العام المراد به الخصوص ، وهو اللفظ العام الوارد الذي لا يشمل جميع أفراده ، لا من جهة تناول اللفظ ، ولا من جهة الحكم ، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ فالملائكة هنا المراد بهم : جبريل ، إذ هو الذي نادى .

الثالث: العام المخصوص ومن أمثله ما خص بالقرآن نفسه كقوله تعالى ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ خص بقوله ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة ﴾ وبقوله ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ .

ومن أمثله أيضاً - العام المخصوص - قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ خص من الميتة السمك بقوله : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ﴾ ومن الدم الجامد بقوله : ﴿ أو دماً مسفوفاً ﴾ .

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأْتَيْتُم بَعْضَ مَا نُهُتُمْ عَنْهَا وَإِنَّكُمْ لَعَنُوكُمُ الْبَعْضَ بِالَّذِينَ نُهُتُمْ عَنْهَا وَإِنَّكُمْ لَعَنُوكُمُ الْبَعْضَ بِالَّذِينَ نُهُتُمْ عَنْهَا وَإِنَّكُمْ لَعَنُوكُمُ الْبَعْضَ بِالَّذِينَ نُهُتُمْ عَنْهَا ﴾
فلاتأخذوا منه شيئاً ﴿ خص بقوله تعالى ﴿ فلا جناح
عليهما فيما افتدت به ﴾ ، وقوله : ﴿ الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ خص بقوله :
﴿ فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ ، وقوله :
﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ خص بقوله : ﴿ حرمت
عليكم أمهاتكم .. ﴾ .

قاعدة في مجمله ومبينه

المجمل : ما لم تتضح دلالاته ، وهو واقع في القرآن ،
خلافاً لداود الظاهري ، وفي جواز بقاءه مجملاً أقوال ،
أصحها : لا يبقى التكليف بالعمل به ، بخلاف غيره .

واختلف في آيات ، هل هي من قبيل المجمل أو لا ؟

منها : آية السرقة ، قيل : إنها مجملة في اليد ، لأنها
تطلق على العضو إلى الكوع ، وإلى المرفق ، وإلى المنكب ،
وفي القطع لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجرح ،
ولا ظهور لواحد من ذلك ، وإبانة الشارع من الكوع تبين أن
المراد ذلك ، وقيل لا إجمال فيها ، لأن القطع ظاهر في
الإبانة .

ومنها : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ قيل : إنها مجملة
لتردها بين مسح الكل والبعض ، ومسح الشارع الناصية
مبينٌ لذلك ، وقيل : لا ، وإنما هي لمطلق المسح الصادق
بأقل ما يطلق عليه الاسم ويفيده .

ومنها : الآيات التي فيها الأسماء الشرعية ، نحو :

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ ﴿ فمن شهد منكم الشهر ﴾

فليصمه ﴿ ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴿ ، قيل : إنها
مجملة ، لاحتمال الصلاة لكل دعاء ، والصوم لكل إمساك ،
والحج لكل قصد ، والمراد بها لا تدل عليه اللغة ، فافتقر إلى
البيان ، وقيل : لا ، بل يحمل على كل ما ذكر ، إلا ما
خص بدليل .

قاعدة

في ناسخه ومنسوخه

النسخ : هو الخطاب الدالّ على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم .

وهو من خصائص الأمة المحمدية ، كما قال تعالى :
﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ .
وقد أجمع المسلمون على جوازه .

معاني النسخ:

يرد النسخ بمعنى : الإزالة ، ومنه : قوله : ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ .

وبمعنى : التبديل ، ومنه : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ .

وبمعنى : التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد .

وبمعنى : النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : نسخت الكتاب ، إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه .

واختلف العلماء في الناسخ ، فقيل : لا ينسخ القرآن

إلا بالقرآن لقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ، قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن ، وقيل : بل ينسخ القرآن بالسنة ، لأنها أيضاً من عند الله ، قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ ، وجعل منه آية الوصية .

مواطن النسخ :

لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ، ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد . وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الأخبار والوعد والوعيد .

أقسام النسخ :

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : نسخ التلاوة مع الحكم .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان فيما أنزل عشر رضعات معلومة ، فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله ﷺ ، وهن مما يقرأ من القرآن ، رواه الشيخان .

وقد تكلموا في قولها : وهن مما يقرأ ، فإن ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

وأجيب بأن المراد : قارب الوفاة ، أو أن التلاوة
نسخت أيضاً ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة
رسول الله ﷺ ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها ، ويمكن أن
يكون مقصودها بقاء التلاوة بعد النسخ مدة محدودة ، ثم
نسخ اللفظ .

الضرب الثاني : النسخ للحكم دون التلاوة .

وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة ، وهو على
الحقيقة قليل جداً ، وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه ،
فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بين ذلك
وأتقنه .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم
الموت إن ترك خيراً الوصية للأقربين والأقربين بالمعروف حقاً
على المتقين ﴾ الآية .

فهذه الآية تفيد وجوب الوصية للورثة ، وهي
منسوخة ، قيل : بأية الموارث ، وقيل : بحديث : « ألا ،
لا وصية لوارث » ، وقيل : بالإجماع ، حكاه ابن العربي .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون

أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول... ﴿ منسوخة بآية
أربعة أشهر وعشراً ، وهي قوله تعالى : ﴿ والذين
يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
وعشراً ﴾ .

الحكمة في نسخ الحكم دون التلاوة:

فإن قلت : ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل
به ، كذلك يتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه ، فتركت التلاوة
لهذه الحكمة .

والثاني : أن النسخ غالباً يكون للتخفيف ، فأبقيت
التلاوة تذكيراً للنعمة برفع المشقة .

وأما ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية ، أو
كان في شرع من قبلنا ، أو في أول الإسلام ، فهو أيضاً قليل
العدد ، كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة ، وصوم
عاشوراء بصوم رمضان .

الضرب الثالث : ما نسخ تلاوته دون حكمه :

يعني أن النسخ هنا بالنسبة للتلاوة فقط ، فلا تثبت قرآنيته ، فلا يثاب على قراءته ثواب القرآن ، وأما حكمه فباقٍ يعمل به .

وأمثلة هذا الضرب كثيرة :

منها : آية الرجم ، وهي (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، والله عزيز حكيم) فنسخت وبقي حكمها .

وحكمة هذا الضرب ، ظهور طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس استجابةً لحكم الله ، من غير استفصال أو توقف أو قياس ، فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام ، وهو أدنى طريق الوحي .

قاعدة في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

كلامه تعالى منزّه عن ذلك كما قال : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً ، وهو منزّه عن ذلك في الحقيقة ، فاحتيج لإزالته ، كما صنف في مختلف الحديث ، وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم في ذلك ابن عباس ، وحكي عنه التوقف في بعضها .

روى عبد الرزاق في « تفسيره » بسنده قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف عليّ من القرآن ، فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشكُّ ؟ قال : ليس بشك ولكنه اختلاف ، قال : هات ما اختلف عليك من ذلك ! قال : أسمع الله يقول : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ وقال : ﴿ ولا يكتُمون الله حديثاً ﴾ فقد كتموا ، وأسمعه يقول : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ . ثم قال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ، وقال : ﴿ أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض

في يومين ﴿ حتى بلغ ﴾ طائعين ﴿ ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ أم السماء بناها ﴾ ثم قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ ، وأسمعه يقول ﴿ كان الله ﴾ ما شأنه يقول : ﴿ وكان الله ﴾ ؟ . فقال ابن عباس : أما قوله : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة ، أن الله يغفر لأهل الإسلام ، ويغفر الذنوب ولا يغفر شركاً ، ولا يتعاطمه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم ، فقالوا : والله ربنا ما كنا مشركين ، فختم الله على أفواههم ، فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ، ولا يكتُمون الله حديثاً .

وأما قوله : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ، فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نُفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ فإن الأرض

خُلقت قبل السماء ، وكانت السماء دخاناً ، فسواهن سبع سموات في يومين ، بعد خلق الأرض .

وأما قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ يقول : جعل فيها جبلاً ، وجعل فيها نهراً ، وجعل فيها شجراً ، وجعل فيها بحوراً .

وأما قوله : ﴿ كَانَ اللَّهُ ﴾ فإن الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير ، لم يزل كذلك .

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك ، وإن الله لم ينزل شيئاً إلا وقد أصاب به الذي أراد ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أخرجه بطوله الحاكم في « المستدرک » وصححه ، وأصله في « الصحيح » .

قاعدة في مطلقه ومقيده

المطلق : الدال على الماهية بلا قيد ، وهو مع المقيد كالعام مع الخاص .

قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق ، صير إليه وإلا فلا ، بل يبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب .

والضابط : أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ، ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر ، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل يرد إليه غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر .

فالأول : مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ وقوله : ﴿ شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ ، وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله : ﴿ وأشهدوا إذا تباعتم ﴾ ﴿ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ ، والعدالة شرط في الجميع .

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ،

وإطلاقها في كفارة الظهار واليمين ، والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة .

وكذلك تقييد الأيدي بقوله : ﴿ إلى المرافق ﴾ في الوضوء ، وإطلاقه في التيمم .

وتقييد إحباط العمل بالردة بالموت على الكفر في قوله : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ﴾ ، وأطلق في قوله : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ .

وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام ، وأطلق فيما عداها .

فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع .
ومن العلماء من لا يحمله ، ويجوز إعتاق الكافرة في كفارة الظهار واليمين ، ويكتفى في التيمم بالمسح إلى الكوعين ، ويقول : إن الردة تحبط العمل بمجردا .

والثاني : مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع ، وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقاً ومتتابعاً .

قاعدة في منطوقه ومفهومه

المنطوق : ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق .

فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص ، نحو : ﴿ فصيام
ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت ، تلك عشرة كاملة ﴾ ،
أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً فالظاهر ، نحو :
﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد ﴾ ، فإن الباغي يطلق على
الجاهل وعلى الظالم ، وهو فيه أظهر وأغلب ، ونحو :
﴿ ولا تقربوهنّ حتى يظهرن ﴾ فإنه يقال للإنقطاع طهر ،
وللوضوء والغسل ، وهو في الثاني أظهر ، فإن حُمِلَ على
المرجوح لدليل فهو تأويل ، ويسمى المرجوح المحمول عليه
مؤوّلاً ، كقوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ فإنه يستحيل
حمل المعية على القرب بالذات ، فتعيّن صرفه عن ذلك
وحمله على القدرة والعلم ، أو على الحفظ والرعاية ،
وكقوله : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ ، فإنه
يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة أن يكون للإنسان
أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق .

والمفهوم : ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق ، وهو
قسمان : مفهوم موافقة ، ومفهوم مخالفة .

فالأول : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سمي
(فحوى الخطاب) ، كدلالة ﴿ فلاتقل لهما أف ﴾ على تحريم
الضرب لأنه أشد ، وإن كان مساوياً سمي (لحن الخطاب)
أي معناه ، كدلالة ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾
على تحريم الإحراق ، لأنه مساوٍ للأكل في الإلتلاف .

والثاني : ما يخالف حكمه المنطوق : وهو أنواع :

مفهوم صفة ، نعتاً كان أو حالاً أو ظرفاً أو عدداً ،
نحو : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ مفهومه : أن غير
الفاسق لا يجب التبين في خبره ، فيجب قبول خبر الواحد
العدل .

وشرط ، نحو : ﴿ وإن كن أولات حمل فأنفقوا
عليهن ﴾ أي فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن .
وغاية ، نحو : ﴿ فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجاً
غيره ﴾ أي فإذا نكحته فإنها تحل للأول بشرطه .

وحصر ، نحو : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ﴿ إنما إلهكم الله ﴾ أي
فغيره ليس بإله ، ﴿ فالله هو الولي ﴾ أي فغيره ليس بولي ،
﴿ لإلى الله تحشرون ﴾ أي لا إلى غيره ، ﴿ إياك نعبد ﴾ أي
لا غيرك .

واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة ،
والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشروط تطلب في كتب
الأصول .

قاعدة في وجوه مخاطباته

الخطاب في القرآن على ثلاثة أقسام :

الأول : قسم لا يصلح إلا للنبي ﷺ ، وهو الذي يسمى بالخصائص ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ومنه آية الأحزاب المبدوءة بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ الآية ، وفي آخرها يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

الثاني : قسم لا يصلح إلا لغيره ، وذلك كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ ، ويدخل في هذا الباب الخطابات الموجهة للأنبياء السابقين ، كقوله : ﴿ يَانُوحُ ﴾ و ﴿ يَامُوسَى ﴾ و ﴿ يَادَاوُدَ ﴾ .

الثالث : قسم يصلح له وللأمة ، وذلك يشمل أكثر

الأحكام التشريعية الواردة في القرآن التي لم يرد دليل على أنها خاصة به ﷺ ، ومنه قوله : ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء.. ﴾ الآية .

قاعدة

في حقيقته ومجازه

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن ، والحقيقة : هي اللفظ المستعمل فيما وضع له ابتداء ، والتحقيق : أنها ما استعمل فيما اصطلحوا عليه من الجماعة المخاطبة .

وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه ، وأنكره جماعة ، ودليلهم أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن منزّه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى .

وهذا دليل باطل ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها .

أقسام المجاز:

والمجاز قسمان : الأول : المجاز في التركيب ، ويسمى مجاز الإسناد ، والمجاز العقلي ، وعلاقته الملابس . وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة للملابسته له ،

كقوله تعالى : ﴿ وإذا تلّيت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾
نسبت الزيادة وهى فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً لها .
﴿ يذبح أبناءهم ﴾ ﴿ يا هامان ابن لى ﴾ نسب الذبح ، وهو
فعل الأعوان إلى فرعون ، والبناء وهو فعل العملة إلى
هامان لكونهما أمرين به .

وكذا قوله : ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ نسب
الإحلال إليهم ، لتسببهم في كفرهم بأمرهم إياهم به .
ومنه قوله تعالى : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ نسب
الفعل إلى الظرف ، لوقوعه فيه ﴿ عيشة راضية ﴾ أي راض
صاحبها .

القسم الثاني: المجاز في المفرد ، ويسمى « المجاز اللغوي »
وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً . وأنواعه
كثيرة :

أحدها: الحذف ، نحو : ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهلها
الثاني: الزيادة ، نحو : ﴿ ليس كمثلته شيء ﴾ أي ليس
مثلته شيء ، وفيه نظر .

الثالث: إطلاق اسم الكل على الجزء ، نحو : ﴿ يجعلون

أصابهم في آذانهم ﴿ أي أناملهم . ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار ، فكأنهم جعلوا الأصابع . ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴿ أي وجوههم ، لأنه لم ير جملتهم .

الرابع : عكسه ، نحو : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴿ أي ذاته ، ﴿ فوتوا وجوهكم شطره ﴿ أي ذواتكم ، إذ الاستقبال يجب بالصدر ، ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴿ وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة ﴿ عبر بالوجه عن جميع الأجساد لأن التنعم والنصب حاصل لكلها .

الخامس : تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، نحو : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴿ أي الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد البلوغ ، ﴿ فلا تعضلوهم أن ينكحن أزواجهن ﴿ أي الذين كانوا أزواجهن ، ﴿ من يأت ربه مجرمًا ﴿ سماه مجرمًا باعتبار ما كان في الدنيا من الإجمام .

السادس : تسميته باسم ما يؤول إليه ، نحو : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴿ أي عنباً يؤول إلى الخمرية ، ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴿ أي صائراً إلى الكفر والفجور ، ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴿ سماه زوجاً لأن العقد يؤول إلى زوجية ، لأنها لا تنكح إلا في حال كونه زوجاً ، ﴿ فبشرناه

بغلام حلیم ﴿﴾ نبشرك بغلام عليم ﴿﴾ وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم .

السابع: إطلاق اسم الحال على المحلّ ، نحو : ﴿﴾ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴿﴾ أي في الجنة لأنها محل الرحمة ، ﴿﴾ بل مكر الليل ﴿﴾ أي في الليل ﴿﴾ إذ يريكم الله في منامك ﴿﴾ أي في عينك ، على قول الحسن رحمه الله .

الثامن: تسمية الشيء باسم آتته ، نحو : ﴿﴾ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴿﴾ أي ثناءً حسناً لأن اللسان آتته ، ﴿﴾ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴿﴾ أي بلغة قومه .

التاسع: إطلاق الفعل ، والمراد مشارفته ومقاربتة وإرادته نحو : ﴿﴾ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ﴿﴾ أي قاربن بلوغ الأجل ، أي انقضاء العدة ، لأن الإمساك لا يكون بعده ، وهو في قوله : ﴿﴾ فبلغن أجلهن فلا تعضوهن ﴿﴾ حقيقة ﴿﴾ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿﴾ أي فإذا قرب مجيئه ، ﴿﴾ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ﴿﴾ أي أردتم القيام ، ﴿﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴿﴾ أي أردت القراءة ، لتكون الاستعاذة قبلها ، ﴿﴾ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴿﴾ أي أردنا إهلاكها ، وإلا لم يصح العطف بالفاء .

قاعدة في الحصر والاختصاص

الحصر - ويقال له : القصر - هو تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصوص ، ويقال أيضاً : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه .

وينقسم إلى : قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف .

ومثال قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ أي إنه مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى التبرّي من الموت الذي استعظموه ، والذي هو من شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف ﴿ لا إله إلا الله ﴾ .

طرق الحصر :

وطرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفي والاستثناء ، سواء كان النفي بلا أو بما أو غيرهما ، والاستثناء بإلا أو غير ، نحو ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ، ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ .

الثاني: إنما ، فالجمهور على أنه للحصر ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إنما حرّم عليكم الميتة ﴾ ومنها قوله تعالى : ﴿ قال إنما العلم عند الله ﴾ ، ﴿ قال إنما يأتيكم به الله ﴾ .

الثالث: تقديم المعمول ، نحو ﴿ إياك نعبد ﴾ أي لا غيرك .

الرابع: ضمير الفصل ، نحو ﴿ فالله هو الولي ﴾ أي لا غيره ، ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ، ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ .

قاعدة

في الإيجاز والإطناب

الإيجاز : هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها ،
وافية بالغرض المقصود ، مع الإبانة والإفصاح .

أنواع الإيجاز :

ينقسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

فإيجاز القصر - ويسمى (إيجاز البلاغة) - يكون
بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف ،
كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ ، فإن معناه
كثير ، ولفظه يُسير ، إذ المراد : أن الإنسان إذا علم أنه متى
قَتَلَ قُتِلَ امتنع عن القتل ، وفي ذلك حياته وحياة غيره ، لأن
القتل أنفى للقتل ، وبذلك تطول الأعمار ، وتكثر الذرية ،
ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع ، ويتم النظام ،
ويكثر العمران ، فالقصاص هو سبب ابتعاد الناس عن
القتل ، فهو الحافظ للحياة .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، فهذه الآية قد جمعت مكارم

الأخلاق ، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل ، إذ في العفو
الصفحُ عمن أساء . . .

وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام ، ومنع اللسان عن
الكذب ، وغض الطرف عن كل المحارم .

وقوله عز اسمه : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس ﴾ استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر
وصنوف المرافق التي لا يبلغها العدد .

وقوله : ﴿ أله الخلق والأمر ﴾ هاتان كلمتان أحاطتا
بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء .

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء ، وبه تتفاوت
أقذارهم ، حتى إن بعضهم سئل عن البلاغة ، فقال : هي
إيجاز القصر .

وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب : البلاغة الإيجاز .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى .. ﴾ فإن العدل هو الصراط المستقيم
المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، المومى به إلى جميع
الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية ، والإحسان هو

الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله :
« أن تعبد الله كأنك تراه » ، أي تعبدته مخلصاً في نيتك ،
وواقفاً في الخضوع ، آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ،
﴿ وإيتاء ذي القربى ﴾ هو الزيادة على الواجب من
النوافل ، هذا في الأوامر .

وأما النواهي ففي قوله ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى ﴾ فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ، وبالمنكر
إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية وكل محرم شرعاً ،
وبالبغي إلى الاستعلاء الفاض عن الوهمية ، ولهذا قال ابن
مسعود رضي الله عنه : ما في القرآن آية أجمع للخير
والشر من هذه الآية ، أخرجها في « المستدرک » .

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل
بالفهم ، مع وجود ما يدل على المحذوف ، من قرينة لفظية أو
معنوية .

وذلك المحذوف إما أن يكون :

(١) حرفاً : كقوله تعالى : ﴿ ولم أك بغياً ﴾ ، أصله :

ولم أكن .

(٢) أو اسماً مضافاً ، نحو : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ أي في سبيل الله .

(٣) أو اسماً مضافاً إليه ، نحو : ﴿ وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴾ أي بعشر ليال .

(٤) أو اسماً موصوفاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ أي عملاً صالحاً .

(٥) أو اسماً صفةً ، نحو : ﴿ فزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ أي مضافاً إلى رِجْسِهِمْ .

(٦) أو شرطاً ، نحو : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ أي فإن تتبعوني .

(٧) أو جواب شرط ، نحو : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أي لرأيت أمراً فظيماً .

(٨) أو مسنداً ، نحو : ﴿ وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ أي خلقهنَّ الله .

دواعي الإيجاز:

دواعي الإيجاز كثيرة ، وهي التي تسمى بأسباب الإيجاز .

فمنها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها : التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ فناقة الله تحذير بتقدير (ذروا) ، وسقياها إغراء بتقدير (الزموا) .

ومنها : التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام ، ومنه قوله في وصف أهل الجنة : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ فحذف الجواب ، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هناك .

وكذا قوله : ﴿ ولوترى إذ وقفوا على النار ﴾ أي لرأيت أمراً فظيماً لا تكاد تحيط به العبارة .

ومنها : التخفيف لكثرة دورانه في الكلام ، كما في حذف حرف النداء ، نحو : ﴿يوسف أعرض﴾ .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ أي وما قلاك .

الإطناب :

الإطناب : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أو ساط البلاء ، لفائدة تقويته وتوكيده ، والقرآن منزّه عن الحشو والتطويل ، فهو أساس البلاغة وميزان الفصاحة .

واعلم ، أن دواعي الإطناب كثيرة : منها : تثبيت المعنى وتوضيح المراد ، والتوكيد ، ودفع الإيهام ، وإشارة الحمية ، وغير ذلك .

وأنواع الإطناب كثيرة :

منها : ذكر الخاص بعد العام ، كقوله تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ .

وفائدته : التنبيه على مزية وفضل في الخاص ، حتى كأنه لفضله ورفعته جزءاً آخر مغاير لما قبله ، ولهذا خص

الصلاة الوسطى (وهي العصر) بالذكر لزيادة فضلها .

ومنها : ذكر العام بعد الخاص ، كقوله تعالى : ﴿ رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ .

وفائدته : شمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام بعد ذكره أولاً في عنوان خاص .

ومنها : الإيضاح بعد الإبهام ، لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين ، مرة على سبيل الإبهام والإجمال ، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح ، فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ .

ومنها : قصد الاستيعاب ، نحو : قرأت الكتاب باباً باباً ، وفهمته كلمة كلمة .

ومنها : زيادة الترغيب في العفو ، كقوله تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم . وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ .

ومنها : الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب

لقبول الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ وقال الذي آمن يا قوم
اتبعون أهدى سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنّيا
متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ ، ففي تكرير ﴿ يا قوم ﴾
تعطيف لقلوبهم ، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في
نصحه .

قاعدة في تشبيهه واستعارته

التشبيه: نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلىها .

قال المبرد في « الكامل » : لو قال قائل : هو أكثر كلام العرب لم يعد ، وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه « الجمان » .

وعرفه جماعة ومنهم السكاكي : بأنه الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى .

وأدواته : حروف وأسماء وأفعال ، فالحروف : « الكاف » نحو : كرماد من قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ﴾ و « كأنه » نحو : ﴿ كأنه رؤوس الشياطين ﴾ .

والأسماء « مثل » و « شبه » ونحوهما ، مما يشتق من المماثلة والمشابهة ، قال الطيبي : ولا يستعمل « مثل » إلا في حال ، أو صفة لها شأن وفيها غرابة ، نحو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحَيَوة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ ﴾ .

الاستعارة القرآنية :

الاستعارة: هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي .

وقال بعضهم : حقيقة الإستعارة : أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها ، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ، أو حصول المبالغة ، أو المجموع .

مثال إظهار الخفي قوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب ﴾ فإن حقيقته : وإنه في أصل الكتاب ، فاستعير لفظ الأم للأصل ، لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كما تنشأ الفروع من الأصول ، وحكمة ذلك : تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ في البيان .

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً قوله تعالى :

﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ فإن المراد : أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ، فاستعير للذل أولاً جانب ، ثم للجانب جناح ، وتقدير الاستعارة القرابية : واخفض لهما جانب الذل : أي اخفض جانبك ذلاً ، وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئياً لأجل حسن البيان ، ولما كان المراد

خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل
لهما والاستكانة ممكناً احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من
الأولى ، فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل
من خفض الجانب ، لأن من يميل جانبه إلى جهة السفلى أدنى
ميل صدق عليه أنه خفض جانبه ، والمراد خفض يلصق
الجانب بالأرض ، ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح
كالطائر .

ومثال المبالغة قوله تعالى : ﴿ وفجرنا الأرض عيوناً ﴾
وحقيقته : وفجرنا عيون الأرض ، ولو عبر بذلك لم يكن
فيه من المبالغة ما في الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت
عيوناً .

قاعدة في كنيته وتعريضه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة ، والكناية أبلغ من التصريح ، وعرفها أهل البيان : بأنها لفظ أريد به لازم معناه .

وللكناية أساليب :

منها : التنبيه على عظم القدرة ، نحو قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ كناية عن آدم .

ومنها : أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ، ككناية الله عن الجماع بالملامسة ، والمباشرة ، والإفشاء ، والرفث ، والدخول ، والسرف في قوله تعالى : ﴿ ولكن لاتواعدوهن سرّاً ﴾ .

ومنها : قصد البلاغة والمبالغة ، نحو قوله تعالى : ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ « النساء » لم يشعر بذلك ، والمراد : نفي ذلك عن الملائكة ، وقوله تعالى : ﴿ بل يدهاه مبسوطتان ﴾ كناية عن سعة جوده وكرمه جداً .

ومنها : التنبية على مصيره ، نحو قوله تعالى :
﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ أي جهنمي مصيره إلى اللهب ،
ونحو قوله تعالى : ﴿ حمالة الحطب ﴾ في جيدها حبل
أي نمامة مصيرها إلى أن تكون حطباءً لجهنم ، في جيدها غلّ .

التعريض :

أما التعريض : فهو قريب من الكناية ، والفرق بينهما
دقيق .

قال الحافظ السيوطي : وللناس في الفرق بين الكناية
والتعريض عبارات متقاربة ، فقال الزمخشري : الكناية :
ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض : أن
تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره . وقال السكاكي :
التعريض : ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ، ومنه أن
يخاطب واحد ويراد غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ورفع
بعضهم درجات ﴾ أي محمداً ﷺ إعلاءً لقدره ، أي أنه العلم
الذي لا يشتهه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ومالي لأعبد الذي
فطرني ﴾ أي ومالكم لا تعبدون ، بدليل قوله تعالى
﴿ وإليه ترجعون ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ أتخذ من دونه
آلهة ﴾ ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه

يمنع غضبه ، إذا لم يصرّح بنسبته للباطل ، والإعانة على قبوله ، إذا لم يرد له إلا ما أَرَادَهُ لنفسه ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ خوطب النبي ﷺ وأريد غيره ، لاستحالة الشرك عليه شرعاً .

الخبر والإنشاء في القرآن

اعلم ، أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام في الخبر والإنشاء ، وأنه ليس له قسم ثالث ، والخبر : هو الذي يدخله الصدق والكذب ، والإنشاء بخلافه ، والقصد بالخبر: إفادة المخاطب ، وقد يرد بمعنى الأمر نحو : ﴿ والوالدات يرضعن ﴾ والمقصود الأمر بالارضاع ، أي أرضعن ، ﴿ والمطلقات يتربصن ﴾ والمقصود الأمر بالتربص يعني تربصن ، وبمعنى النهي نحو : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ فكأنه يقول لغير المطهرين : لا تمسوه ، وبمعنى الدعاء ، نحو : ﴿ وإياك نستعين ﴾ أي أعنا ، ومنه ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ فإنه دعاء عليه .

أنواع الإنشاء :

الإنشاء له أنواع خمسة : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء .

الاستفهام :

فالاستفهام طلب الفهم ، وهو بمعنى الاستخبار ،

وأدواته كثيرة ، منها : الهمزة ، وهل ، وما .

ويرد الإستفهام لمعان متعددة :

منها : الإنكار ، ويسمى حينئذ الاستفهام الإنكاري ،
والمعنى فيه على النفي ، وما بعده منفي ، ولذلك تصحبه
(إلا) كقوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ .

ومنها : التوبيخ ، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً نحو :
﴿ أفعصيت أمري ﴾ ، ﴿ أتعبدون ما تنحنون ﴾
﴿ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ﴾ .

ومنها : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الإقرار
والاعتراف بأمر قد استقر عنده ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم
نشرح لك صدرك ﴾ وقوله : ﴿ ألم يجدك يتيماً فأوى ﴾ .

ومنها : الترغيب ، نحو : ﴿ من ذا الذي يقرض الله
قرضاً حسناً ﴾ ، ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ .

ومنها : الدعاء وهو كالنهي ، إلا أنه من الأدنى إلى
الأعلى ، نحو : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء ﴾ أي لا
تهلكنا .

الأمر:

ومن أقسام الإنشاء الأمر ، وهو طلب فعل غير كف ،
أي ترك ، وصيغته : « افعل » و« ليفعل » وهى حقيقة فى
الإيجاب ، نحو : ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ ، ﴿ فليصلوا
معك ﴾ .

ويرد مجازاً لمعان آخر :

منها : الندب ، نحو : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وأنصتوا ﴾ .

والإباحة ، نحو : ﴿ فكاتبوهم ﴾ ، نص الشافعي على
أن الأمر فيه للإباحة ، ومنه ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ ،
فقوله ﴿ اصطادوا ﴾ أمر وهو للإباحة .

والدعاء من السافل للعالي ، نحو : ﴿ رب اغفر لي ﴾ .
فقوله ﴿ اغفر ﴾ أمر وهو دعاء .

والتهديد ، نحو : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ إذ ليس المراد
الأمر بكل عمل شاءوا .

والتعجيز ، نحو ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ ، إذ ليس
المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم .

والتكذيب ، نحو ﴿ قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ،
﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ .

النهي :

ومن أقسام الإنشاء النهي ، وهو طلب الكف عن
فعل ، وصيغته : « لا تفعل » وهى حقيقة فى التحريم .

ويرد مجازاً المعان :

منها : الدعاء ، نحو : ﴿ ربنا لاترغ قلوبنا ﴾ .

ومنها : الإرشاد ، نحو : ﴿ لاتسئلوا عن أشياء إن تبد

لكم تسؤكم ﴾

ومنها : التسوية ، نحو : ﴿ اصبروا أو لاتصبروا ﴾ .

التمنى :

ومن أقسام الإنشاء التمنى ، وهو طلب الشئ المحبوب
الذي لا يُرجى ولا يتوقع حصوله .

(١) إما لكونه مستحيلاً ، كقوله تعالى : ﴿ ياليتنى كنت

تراباً ﴾ .

(٢) إما لكونه ممكناً غير مضموع فى نيله ، كقوله تعالى :

﴿ ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ﴾ .

أما إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله ، فيسمى طلبه
ترجياً ويعبر فيه « بعسى ولعلّ » كقوله تعالى : ﴿ لعلّ الله يحدث
بعد ذلك أمراً ﴾ و ﴿ عسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ .

وللتمني أربع أدوات - واحدة أصلية - وهى « ليت »
وثلاث غير أصلية نائبة عنها ، ويتمنى بها لغرض بلاغى ،
وهى :

(١) هل ، كقوله تعالى : ﴿ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا

لنا ﴾

(٢) ولو ، كقوله تعالى : ﴿ فلو أن لنا كرة فنكون من

المؤمنين ﴾ .

(٣) ولعلّ ، كقوله تعالى ﴿ لعلّي أعمل صالحاً فيما

تركت ﴾ .

مناسبة الآيات والسور

المناسبة في اللغة : المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه .

وفائده : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

وقد أفردته بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير ، شيخ أبي حيان في كتاب سماه « البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن » ، والشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » وللسيوطي جزء لطيف سماه « تناسق الدرر في تناسب السور » .

وعلمه المناسبة علمٌ شريف ، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته ومن أكثر فيه الإمام فخر الدين ، وقال في « تفسيره » : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يمان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتي ربط بعضه ببعض .

إعجاز القرآن

اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية ، لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ، خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر ، كما قال ﷺ « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » ، أخرجه البخاري .

قيل : إن معناه : أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمرّ عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون ، يدل على صحة دعواه .

وقيل المعنى : أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار ، كناقاة صالح ، وعصى موسى ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق ، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً .

ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك . ولما جاء به النبي ﷺ اليهم ، وكانوا أفصح الفصحاء ومصارع الخطباء ، وتحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا ، كما قال تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ ، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ ، ثم تحداهم بسورة في قوله ﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ﴾ ثم كرّر تحديهم في قوله : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ ، فلما عجزوا عن

معارضته والاتيان بسورة تشببه على كثرة الخطباء فيهم
 والبلغاء ، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن ، فقال :
 ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
 لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ، هذا وهم
 الفصحاء اللدّ ، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره ،
 وإخفاء أمره ، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها
 قطعاً للحجة ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدّث نفسه بشيء
 من ذلك ولا رامه ، بل عدلوا إلى العناد تارة ، وإلى
 الاستهزاء تارة أخرى ، فتارة قالوا : «سحر» وتارة قالوا :
 «شعر» وتارة قالوا : «أساطير الأولين» كل ذلك من التحير
 والانقطاع .

يقول الوليد بن المغيرة عن القرآن لما سمعه وطلب منه
 قومه أن يقول في شأن القرآن كلمة ترضيهم : وماذا أقول !
 فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ، ولا برجزه ولا
 بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً
 من هذا ، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه
 لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو
 ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته .

وجه إعجازه:

قال الإمام فخر الدين : وجه الإعجاز ، الفصاحة
وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب .

قال الزملكاني : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف
الخاص به ، لا مطلق التأليف ، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً
وزنة ، وعلت مركباته معنى .

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور
والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه ، وتوالي
فصاحة ألفاظه ، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً ،
وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا رتب اللفظة من القرآن علم
ياحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد
المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر يعمهم
الجهل والنسيان والذهول . ومعلوم ضرورة ، أن أحداً من
البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية
القصوى من الفصاحة ، وبهذا يبطل قول من قال : إن
العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله ، فصرفوا عن ذلك ،

والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ، ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ، ثم ينظر فيها فيغير فيها ، وهلم جراً ، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها في مواضع ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وقامت الحجة على العالم بالعرب ، إذ كانوا أرباب الفصاحة ، ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة ، وفي معجزة عيسى بالأطباء ، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في زمن محمد ﷺ .

تنبيهان

الأول : اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة ، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه ، فاختار القاضي المنع ، وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا ، وإن كان بعض الناس أحسن

إحساساً له من بعض ، واختار أبو نصر القشيري وغيره
التفاوت ، ففي القرآن الأفصح والفصيح .

الثاني : قيل : الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر
الموزون ، مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ، أن
القرآن منبع الحق ، ومجمع الصدق ، وقصارى أمر الشاعر
التخييل ، بتصوير الباطل في صورة الحق ، والإفراط في
الإطراء ، والمبالغة في الذم والايذاء ، دون إظهار الحق
وإثبات الصدق ، ولهذا نزه الله نبيه عنه ، ولأجل شهرة
الشعر بالكذب سمي أصحاب البرهان القياسات المؤدية في
أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية ، وقال بعض
الحكماء : لم ير متدين صادق اللهجة مفلحاً في شعره .

عناية العلماء بالعلوم المستنبطة

من القرآن

قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ وقال :
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ .

وقال ﷺ : « ستكون فتن » قيل : وما المخرج منها ؟ قال
« كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم
ما بينكم » أخرجه الترمذي وغيره

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه ،
قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن ، فإن فيه خبر الأولين
والآخرين .

قال البيهقي : يعني أصول العلم .

وأخرج البيهقي عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة
وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة ،
والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة
الفرقان .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : جميع ما تقوله

الأمة شرح للسنة ، وجميع للسنة شرح للقرآن .

وقال أيضاً : جميع ما حكم به ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، ويؤيد هذا قوله ﷺ : «إني لا أحل إلا ما أحل الله ، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه » ، أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في « الأم » . وقال سعيد بن جبير رحمه الله : ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى ، أخرجهما ابن أبي حاتم .

وقال الشافعي أيضاً : ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة ، قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة ، لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ ، وفرض علينا الأخذ بقوله .

وأخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات

للحسن ، المغيرات خلق الله تعالى . فبلغ ذلك امرأة من بني
أسد ، فقالت له : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت ، فقال :
ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ، وهو في كتاب الله
تعالى ، فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه
كما تقول ، قال : لئن كنت قرأته لقد وجدته ، أما قرأت :
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾
قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

وحكى ابن سراقه في كتاب « الإعجاز » عن أبي بكر بن
مجاهد أنه قال يوماً : ما من شيء في العالم إلا وهو في
كتاب الله ، فقليل له : فأين ذكر الخانات فيه ؟ فقال : في
قوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها
متاع لكم ﴾ فهي الخانات .

وقال ابن أبي الفضل المرسي في « تفسيره » : جمع
القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علماً
حقيقة إلا المتكلم بها ، ثم رسول الله ﷺ ، خلا ما استأثر به
سبحانه وتعالى ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة
وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن
عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقل بغير لوجدته في كتاب

الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تقاصرت
الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا
عن حمل ما حملة الصحابة والتابعون من علومه وسائر
فنونه ، فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ،
فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج
حروفه ، وعدد كلماته وآياته ، وسوره وأحزابه ، وأنصافه
وأرباعه ، وعدد سجدياته ، والتعليم عند كل عشر آيات ،
إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات
المتماثلة ، من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ،
فسموا القراء .

وقد اجتهد أئمة فن في استخراج ما يناسب فنهم من بحر
القرآن ، فاعتنى به النحاة ، والمفسرون ، والأصوليون ،
واستخرجوا منه أنواعاً من العلوم الدينية والدينية ،
كالصنائع والفنون ، وجميع المصالح المعيشية .

الأمثال

الأمثال : جمع مثل ، والمثل : هو كلام شُبّه مَضْرَبه بمُورده واشتهر بين الخاصة والعامة بلفظه ومعناه ، حتى شاع فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء ، واستعملوه في أساليبهم ، وسهلوا به معرفة المعاني الصعبة وقربوها به إلى الأذهان .

والأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثل ، بها هو ومن بعده من السلف (١) .

وقد اعتنى القرآن بضرب الأمثال عناية كبيرة ، قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

(١) « البلغة في أصول اللغة » للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي (الخامسة والثلاثون : معرفة الأمثال) ص ٢٢٣ .

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ،
وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم
الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله ، قال
تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ فامتد علينا بذلك لما تضمنته
من الفوائد .

وقال الزركشي في « البرهان » : ومن حكمته تعليم
البيان ، وهو من خصائص هذه الشريعة .

قال الماوردي : من أعظم القرآن علم أمثاله .

وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم
القرآن .

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال
وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . فاعملوا بالحلال ،
واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ،
واعتبروا بالأمثال » .

أقسام الأمثال القرآنية:

أمثال القرآن قسماً : ظاهر مصرح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه .

الظاهر المصرح به:

منه قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ ضرب فيها للمنافقين مثلين : مثلاً بالنار ، ومثالاً بالمطر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ، كانوا يعتزون بالاسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفياء ، فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿ وتركهم في ظلمات ﴾ يقول : في عذاب ، ﴿ أو كصيب ﴾ هو المطر ، ضرب مثله في القرآن . ﴿ فيه ظلمات ﴾ يقول : ابتلاء ﴿ ورعد وبرق ﴾ تخويف ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ يقول : كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزاً اطمأنوا ، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية

بقدرها.. ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هذا مثل ضربه الله ، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها ، ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ وهو الشك ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ وهو اليقين ، كما يجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار ، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا مثل ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب وعمله طيب ، كما أن البلد الطيب ثمرها طيب ، والذي خبث ضرب مثلاً للكافر ، كالبلد السبخة المالحة ، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث .

الكامن من الأمثال :

وأما الكامن : فقال الماوردي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم ، يقول : سمعت أبي يقول : سألت الحسين بن الفضل فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله : (خير الأمور أوسطها) ؟ قال : نعم ، في أربعة مواضع ، قوله تعالى : ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ .

قلت : فهل تجد في كتاب الله : (ليس الخبر كالعيان) ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ .

قلت : فهل تجد : في الحركات البركات ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ .

قلت : فهل تجد : (كما تدين تدان) ؟ قال : في قوله

تعالى : ﴿ من يعمل سوءاً يجزبه ﴾

قلت : فهل تجد فيه : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

قال : ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾

قلت : فهل تجد فيه قولهم : (لا تلد الحية إلا حية) قال

في قوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾

قلت : فهل تجد فيه : (للحيطان أذان) ؟ قال :

﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ .

قلت : فهل تجد فيه : (الجاهل مرزوق والعالم محروم) ؟

قال : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً ﴾

قلت : فهل تجد فيه : (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً ، والحرام

لا يأتيك إلا جُزافاً) ؟ قال : ﴿ إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم

شُرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم ﴾

الأمثال من الألفاظ القرآنية

عقد جعفر بن شمس الخلافة في « كتاب الآداب » باباً
في ألفاظ من القرآن ، جارية مجرى المثل ، وهذا هو النوع
البديعي المسمى بإرسال المثل ، وأورد من ذلك قوله تعالى :
﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا
ما تحبون ﴾ ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ ﴿ وضرب لنا مثلاً
ونسى خلقه ﴾ ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ ﴿ قضى الأمر الذي
فيه تستفتيان ﴾ ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ ﴿ وحيل بينهم
وبين ما يشتهون ﴾ ﴿ لكل نباء مستقر ﴾ ﴿ ولا يحق المكر
السين إلا بأهله ﴾ ، ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ ، ﴿ وعسى
أن تکرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ ، ﴿ كل نفس بما كسبت
رهينة ﴾ ، ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ ، ﴿ ما على
المحسنين من سبيل ﴾ ، ﴿ هل جزاء الإحسان إلا
الإحسان ﴾ ، ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ﴾ ،
﴿ الآن وقد عصيت قبل ﴾ ، ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم
شتى ﴾ ، ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ ، ﴿ كل حزب بما لديهم
فرحون ﴾ ، ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾ ،
﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ ، ﴿ لا يكلف الله نفساً

إلا وسعها ﴿﴾ ، ﴿﴾ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴿﴾ ، ﴿﴾ ظهر
الفساد في البر والبحر ﴿﴾ ، ﴿﴾ ضعف الطالب والمطلوب ﴿﴾ ،
﴿﴾ مثل هذا فليعمل العاملون ﴿﴾ ، ﴿﴾ وقليل ما هم ﴿﴾ ،
﴿﴾ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿﴾ ، في ألفاظ آخر .

القسم في القرآن

القسم: هو الحلف واليمين .

والمقصود من القسم في القرآن هو تحقيق الخبر وتوكيده

وقد استشكل بعضهم وقوع القسم من الله فقال :

ما معنى القسم منه تعالى ؟ ، فإنه إن كان لأجل المؤمن
فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم ، وإن كان
لأجل الكافر فلا يفيد ؟

وأجيب : بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عاداتها

القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً .

وأجاب أبو القاسم القشيري : بأن الله ذكر القسم

لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك لأن الحكم يفصل باثنين ،

إما بالشهادة وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين

حتى لا يبقى لهم حجة ، فقال : ﴿ قل إي وربي إنه لحق ﴾

﴿ شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ .

ولا يكون القسم إلا باسم معظم ، وقد أقسم الله تعالى

بنفسه في القرآن في سبعة مواضع : ﴿ فو ربّ السماء

والأرض إنه لحق ﴾ ، ﴿ قل إي وربي ﴾ ، ﴿ قل بلى وربي

لتبعثن ﴿﴾ ، ﴿﴾ فوربك لنحشرنهم والشیاطین ﴿﴾ ، ﴿﴾ فوربك
لنسالنهم أجمعین ﴿﴾ ، ﴿﴾ فلا وربك لا یؤمنون ﴿﴾ ، ﴿﴾ فلا
أقسم برب المشارق والمغرب ﴿﴾ .

والباقي كله قسم بمخلوقاته ، كقوله تعالى : ﴿﴾ والتین
والزیتون ﴿﴾ ، ﴿﴾ والصفات ﴿﴾ ، ﴿﴾ والشمس ﴿﴾ ،
﴿﴾ واللیل ﴿﴾ ، ﴿﴾ والضحی ﴿﴾ ، ﴿﴾ فلا أقسم بالخنس ﴿﴾ .

فإن قيل : كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم
بغير الله ؟ قلنا : أجيب عنه بأوجه : منها : أن هذا خاص
بالله جلّ جلاله وهو الإله المعبود ، يقسم بما شاء من خلقه ،
ولا يصح لغير الله جلّ جلاله .

قال الحسن : إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد
أن يقسم إلا بالله .

وقال العلماء : أقسم الله تعالى بالنبی ﷺ في
قوله : ﴿﴾ لعمرک ﴿﴾ ، لتعرف الناس عظمته عند الله ،
ومكانته لديه .

ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على أصول الإيمان التي
تجب على الخلق معرفتها ، وتارة يقسم على التوحيد ، وتارة

يقسم على أن القرآن حق ، وتارة على أن الرسول حق ،
وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة على حال
الإنسان .

قاعدة في جدل القرآن

اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أوردته على عادة العرب ، دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين

أحدهما : بسبب ما قاله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾

والثاني : أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن ملغزاً . فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ، ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء

ومن أمثلة ذلك : أنه استدل سبحانه وتعالى على المعاد

الجسمي بضروب :

أحدها : قياس الإعادة على الابتداء ، كما قال
تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ ، ﴿ كما بدأنا أول خلق
نعيده ﴾ ، ﴿ أفبعيننا بالخلق الأول ﴾

ثانيها : قياس الإعادة على خلق السموات والأرض
بطريق الأولى ، قال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر... ﴾ الآية .

ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها
بالمطر والنبات .

رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر
الأخضر . وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف جاء
بعظم ففته ، فقال : أحيي الله هذا بعد ما بلي ورمم ؟ فأنزل
الله : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ ، فاستدل
سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى إلى الأولى ، والجمع
بينهما بعلّة الحدوث ، ثم زاد في الحجاج بقوله : ﴿ الذي
جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾ وهذه في غاية البيان في
رد الشيء إلى نظيره ، والجمع بينهما من حيث تبديل
الأعراض عليهما .

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد ،
بدلالة التمانع المشار إليها في قوله : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا
الله لفسدتا ﴾ ، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري
تديبرهما على نظام ، ولا يتسق على إحكام ، ولكان العجز
يلحقهما أو أحدهما ، وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء
جسم وأراد الآخر إماتته ، فإماتته أن تنفذ إرادتهما فيتناقض
لا استحالة تجزّي الفعل إن فرض الاتفاق ، أو لامتناع اجتماع
الضدين إن فرض الاختلاف ، وإما ألا تنفذ إرادتهما ،
فيؤدي إلى عجزهما ، أو لا تنفذ إرادة أحدهما ، فيؤدي إلى
عجزه ، والإله لا يكون عاجزاً

ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

في القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس
وعشرون ، وهم مشاهيرهم :

آدم أبو البشر ، ونوح ، وإدريس ، وإبراهيم ،
وإسماعيل (وهو أكبر ولد إبراهيم) ، وإسحاق (ولد بعد
إسماعيل بأربع عشرة سنة) ، ويعقوب (عاش مائة وسبعاً
وأربعين سنة) ، ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ،
ولوط ، قال ابن اسحاق : هو لوط بن هاران بن أزر ، وهود ،
وصالح ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، وداود ،
وسليمان ولده ، وأيوب ، وذو الكفل ، ويونس ، وإلياس ،
واليسع ، وزكريا ، ويحيى ولده ، وعيسى ، ومحمد ، عليه
وعليهم الصلاة والسلام .

أسماء الملائكة

وفيه من أسماء الملائكة :

جبريل ، وميكائيل ، ومالك خازن جهنم ، وهاروت
وماروت (على خلاف فيهما) .

أسماء الصحابة وغيرهم

وفيه من أسماء الصحابة : زيد بن حارثة .

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل : عمران أبو مريم ، وعزير ، وتبع ، ولقمان ، ويوسف الذي في سورة غافر ، ويعقوب في أول سورة مريم ، (على قول) ، وتقي في قوله فيها : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ قيل : إنه اسم رجل كان من أمثل الناس ، أي إن كنت في الصلاح مثل تقي ، حكاه الثعلبي

وفيه من أسماء النساء : مريم لا غير ، وقيل : إن بعلاً في قوله ﴿ أتدعون بعلاً ﴾ اسم امرأة كانوا يعبدونها ، حكاه ابن عساكر .

وفيه من أسماء الكفار : قارون ، وأزر ، وجالوت ، وهامان .

وفيه من أسماء الجن : أبوهم إبليس .

وفيه من أسماء القبائل : يأجوج ومأجوج ، وعاد ، وثمود ، ومدين ، وقريش ، والروم .

وفيه من الأقوام بالإضافة : قوم نوح ، وقوم لوط ،

وقوم تبع ، وقوم إبراهيم ، وأصحاب الأيكة - وقيل : هم
مدين - وأصحاب الرس (وهم بقية من ثمود) قاله ابن
عباس . وقال عكرمة : هم أصحاب ياسين ، وقال قتادة :
هم قوم شعيب ، وقيل : هم أصحاب الأخدود ، واختاره
ابن جرير .

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس : ود ،
وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر (وهي أصنام قوم نوح)
واللات والعزى ومناة ، (وهي أصنام قريش) وكذا الرجز
فيمن قرأ بضم الراء ، ذكر الأخصف في «كتاب الواحد
والجمع» أنه اسم صنم ، والجبت ، والطاغوت ، وبعل .

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال : بكة
اسم لمكة ، والمدينة ، وبدر ، وأحد ، وحنين ، والمشعر
الحرام ، ومصر ، وبابل ، والأيكة ، والحجر ،
والأحقاف ، وطور سينا ، والجودي ، وطوى (اسم
الوادي) ، والكهف ، والرقيم ، والعرم ، وحرد ،
والصريم ، وأخرج ابن جبير عن سعيد بن جبير أنها أرض
باليمن تسمى بذلك ، وق (وهو جبل محيط بالارض) ،
والجرز (هو اسم أرض) والطاغية (قيل : اسم البقعة التي

أهلكت بها ثمود) ، حكاهما الكرمانى .

وفيه من أسماء الأماكن الأخرى : الفردوس (وهو أعلى مكان فى الجنة) وعليون (قيل أعلى مكان فى الجنة) والكوثر (نهر فى الجنة) وسلسبيل ، وتسليم (عينان فى الجنة) وسجين (اسم لمكان أرواح الكفار) ، وصعود (جبل فى جهنم) كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعاً ، وغي ، وأثام ، وموبق ، والسعير ، وويل ، وسائل ، وسحق (أودية فى جهنم) ، ويحموم (دخان أسود) .

وفيه من أسماء الكواكب : الشمس ، والقمر ، والطارق ، والشعرى ، قال بعضهم : سمى الله فى القرآن عشرة أجناس من الطير : السلوى ، والبعوض ، والذباب ، والنحل ، والعنكبوت ، والجراد ، والهدهد ، والغراب ، وأبائيل ، والنمل .

أما الكنى ، فليس فى القرآن منها غير أبى لهب ، واسمه عبد العزى .

مفردات القرآن

المفردات : جمع مفرد والمراد به : الآية الفريدة الجامعة لمعاني موضوعها ، من عقيدة أو أخلاق أو وصية أو حكم وبهذا تكون تلك الآية منفردة بمزايا ليست في غيرها

ومنه : قول ابن مسعود : أعظم آية في القرآن : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وأحكم آية : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾ ، وأجمع آية : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، وأحزن آية : ﴿ من يعمل سوءاً يجزبه ﴾ ، وأرجس آية : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ الآية .

وقال ابن عباس : أرجى آية في كتاب الله ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ وقال أبو برزة الأسلمي : أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ وقال بعضهم : أطول سورة في القرآن البقرة ، وأقصرها الكوثر ، وأطول آية فيه آية الدين ، وأقصر آية فيه ﴿ والضحى ﴾ ﴿ والفجر ﴾ وأطول كلمة فيه رسماً : ﴿ فأسقيناكموه ﴾ وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما

حروف المعجم : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ... ﴾
الآية ﴿ محمد رسول الله ... ﴾ الآية .

وليس فيه حاء بعد حاءٍ بلا حاجزٍ إلا في موضعين
﴿ عقدة النكاح حتى ... ﴾ ﴿ لا أبرح حتى ... ﴾ ولا كافان
كذلك إلا ﴿ مناسككم ﴾ ﴿ ما سلككم ﴾ ولا غينان كذلك إلا
﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ﴾ ولا آية فيه ثلاثة وعشرون كافاً إلا
آية الدين ، ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفاً إلا آيتا
المواريث ، ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا
والعصر إلى آخرها ، ولا سورة إحدى وخمسون آية ، فيها
اثنتان وخمسون وقفاً إلا سورة الرحمن .

الآيات المبهمات

اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض ، ونحن نذكر أهم ما ورد في ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ هو : آدم وزوجه حواء .

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ هو : الأخنس بن شريق .

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ﴾ هو : صهيب .

﴿ منهم من كلم الله ﴾ قال مجاهد : موسى .

﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ قال : محمد .

﴿ امرأة عمران ﴾ حنة بنت فاقوذ .

﴿ منادياً ينادي للإيمان ﴾ هو : محمد ﷺ .

﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه

الموت ﴾ هو : ضمرة بن جندب .

﴿ وإني جار لكم ﴾ عنى سراقه بن جعشم .

﴿ إذ يقول لصاحبه ﴾ هو : أبو بكر الصديق .

﴿ ومنهم من يقول انذن لي ﴾ هو : الجَدَّ بن قيس .

﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ﴾ هو : ذو الخويصرة .

﴿ إن نعف عن طائفة منكم ﴾ هو : مخشي بن حمير .

﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ هو : ثعلبة بن حاطب .

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ هم سبعة : أبو لبابة

وأصحابه ، وجدَّ بن قيس ، وجدام ، وأوس ، وكردم ،
ومرداس .

﴿ وآخرون مرجون ﴾ هم : هلال بن أمية ، ومرارة بن

الربيع ، وكعب بن مالك ، وهم الثلاثة الذين خلفوا .

﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال سعيد بن جبير : هم

خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، وأبو
زمعة ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

﴿ هذان خصمان ﴾ أخرج الشيخان عن أبي ذر رضي

الله عنه قال : نزلت هذه الآية في حمزة وعبيدة بن الحارث
وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة .

﴿ امرأة تملكهم ﴾ هي : بلقيس بنت شراحيل .

﴿ قول التي تجادلك ﴾ هي : خولة بنت ثعلبة ﴿ في

زوجه ﴾ هو : أوس بن الصامت .

﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ هو : الوليد بن المغيرة .

أسباب الإبهام في القرآن :

وللإبهام في القرآن أسباب :

أحدها : الاستغناء ببيانه في موضع آخر ، كقوله :

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فإنه مبين في قوله : ﴿ مع

الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء
والصالحين ﴾ .

الثاني : أن يتعين لاشتهاره ، كقوله : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن

أنت وزوجك الجنة ﴾ ولم يقل « حواء » ، لأنه ليس له غيرها .

الثالث : قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه ، نحو :

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا .. ﴾ الآية ، هو

الأخنس بن شريق ، وقد أسلم بعدُ وحسن إسلامه .

الرابع : ألا يكون في تعيينه كبير فائدة ، نحو :

﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ ﴿ وأسألهم عن القرية ﴾ .

الخامس : التنبيه على العموم ، وأنه غير خاص ،

بخلاف ما لوعين ، نحو : ﴿ ومن يخرج من بيته

مهاجراً ﴾ .

تفسير القرآن وتأويله

وبيان الحاجة إليه

واختلف في التفسير أو التأويل ، فقال أبو عبيد
وطائفة : هما بمعنى .

وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل ، وأكثر
استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في
المعاني والجمل ، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية ،
والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها .

وقال الزركشي : التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل
على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه
وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة ، والنحو ،
والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، والقراءات ،
ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وأما شرفه
فلا يخفى ، قال تعالى : ﴿ يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ .

عن ابن عباس في قوله : ﴿ يوتي الحكمة ﴾ ، قال :
المعرفة بالقرآن ، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ،

ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج أبو ذر الهروي في « فضائل القرآن » من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره ، كالأعرابي يهذ الشعر هذا .

وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » .

وأخرج ابن الأنباري ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية .

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن بريدة ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت .

وأخرج أيضاً من طريق الشعبي ، قال : قال عمر : من قرأ القرآن فأعربه ، كان له عند الله أجر شهيد .

قال السيوطي : معنى هذه الآثار عندي ، إرادة البيان والتفسير ، لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث ، ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه .

قال الأصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن ، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث ، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى . والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى . وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي ، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

أمهات ما أخذ التفسير

أمهاتها أربعة :

الأول : النقل عن النبي ﷺ ، وهذا هو الطراز المعلم ، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع ، فإنه كثير ، ولهذا قال أحمد : ثلاث كتب لا أصل لها : المغازي ،

والملاحم ، والتفسير ، قال المحققون من أصحابه : مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك كثير ، كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام ، والحساب اليسير بالعرض ، والقوة بالرمي في قوله : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ .

قال السيوطي مستدرکاً على هذا الكلام الذي قرره الزركشي : الذي صح من ذلك قليل جداً ، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة .

الثاني: الأخذ بقول الصحابي ، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ ، كما قاله الحاكم في « مستدرکه » .

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة ، فإن القرآن نزل بلسان عربي ، وهذا قد ذكره جماعة ، ونص عليه أحمد في مواضع ، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل بيت من الشعر ، فقال : ما يعجبني . فقيل : ظاهره المنع ، ولهذا قال بعضهم : في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد . وقيل : الكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة ،

يدل عليها القليل من كلام العرب ، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ، ويكون المتبادر خلافها .

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب

من قوة الشرع ، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس ، حيث قال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ، والذي عناه علي بقوله : إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن ، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية ، فأخذ كل برأيه على منتهى نظره ، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وقال : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال : ﴿ لَتَبِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فأضاف البيان إليه ، وقال ﷺ : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » . أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » . أخرجه أبو داود .

قال البيهقي في الحديث الأول : هذا إن صح فإنما أراد - والله أعلم - الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه ، وأما الذي يشده برهان فالقول به جائز .

وقال الماوردي : قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدا نص صريح ، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام ، كما قال تعالى : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ . ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط ، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً . وإن صح الحديث فتأويله أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ، ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق ، فقد أخطأ الطريق ، وإصابته اتفاق ، إذ الغرض أنه مجرد رأي لا شاهده ، وفي الحديث : « القرآن ذلول ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن وجوهه » ، أخرج أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس .

فقوله : « ذلول يحتمل » معنيين :

أحدهما : أنه مطيع لحامله تنطق به ألسنتهم .

والثاني : أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام

المجتهدين .

وقوله : « ذو وجوه » يحتمل معنيين :

أحدهما : أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل .

والثاني : أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي ،

والترغيب والترهيب ، والتحليل والتحريم .

وقوله : « فاحملوه على أحسن وجوهه » يحتمل

معنيين :

أحدهما : الحمل على أحسن معانيه ،

والثاني : أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص ،

والعفو دون الانتقام ، وفيه دلالة ظاهرة على جواز

الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى .

ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم

التي يحتاج المفسر إليها .

طبقات المفسرين

تفسير الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة نزره جداً ، وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم ، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، ولا يحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثار قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة ، وأما علي رضي الله عنه فروي عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب ابن عبد الله عن أبي الطفيل ، قال : شهدت علياً يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم ، أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي ،

قال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين أنزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً سؤلاً .

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فروي عنه أكثر مما وري عن علي رضي الله عنه ، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

وأخرجه أبو نعيم عن أبي البخترى ، قال : قالوا لعلي : أخبرنا عن ابن مسعود ، قال : علم القرآن والسنة ، ثم انتهى ، وكفى بذلك علماً .

وأما ابن عباس رضي الله عنهما فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال له أيضاً : « اللهم آتة الحكمة » .
وفي رواية : « اللهم علمه الحكمة » .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس ، فقال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » .

وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس ، قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وعنده جبريل ، فقال له جبريل : إنه كائن حير هذه الأمة ، فاستوص به خيراً .

وأخرج من طريق عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : قال لي رسول الله ﷺ : « نعم ترجمان القرآن أنت » .

وأخرج البيهقي في « الدلائل » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس .
وأخرج أبو نعيم عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يسمى البحر ، لكثرة علمه .

وأخرج عن ابن الحنفية ، قال : كان ابن عباس حبر هذه الأمة .

وأخرج عن الحسن ، قال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل ، كان عمر رضي الله عنه يقول : ذاكم فتي الكهول ، إن له لساناً سئولاً ، وقلباً عقولاً .

وأخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن

ابن عباس ، قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر رضي الله عنه : إنه من حيث علمتم ، فدعاهم ذات يوم ، فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني فيهم يوماًئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ ، أعلمه له ، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، فذلك علامة أجلك ، ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ ، فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول . .

طبقة التابعين:

قال ابن تيمية : أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وطاووس ، وغيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير ، مثل زيد بن أسلم الذي أخذ

عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس ، انتهى .

فمن المبرزين منهم : مجاهد ، قال الفضل بن ميمون :
سمعت مجاهداً يقول : عرضت القرآن على ابن عباس
ثلاثين مرة .

وعنه أيضاً قال : عرضت المصحف على ابن عباس
ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية منه ، وأسأله عنها ، فيم
نزلت ؟ وكيف كانت ؟

وقال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد .

وقال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك
به .

قال ابن تيمية : ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي
والبخاري وغيرهما من أهل العلم .

قال السيوطي : وغالب ما أورده الفريابي في « تفسيره »
عنه ، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جداً .

ومنهم : سعيد بن جبير ، قال سفيان الثوري : خذوا
التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ،
وعكرمة ، والضحاك .

وقال قتادة : كان أعلم التابعين أربعة ، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك ، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام .

ومنهم : عكرمة مولى ابن عباس ، قال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ،

وقال سماك بن حرب : سمعت عكرمة يقول : لقد فسرت ما بين اللوحين .

ومنهم : الحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء ابن أبي سلمة الخراساني ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبو العالية ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية العوفي ، وقاتدة ، وزيد بن أسلم ، ومرة الهمداني ، وأبو مالك ، ويليهم الربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في آخرين .
فهؤلاء قدماء المفسرين ، وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة .

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة ، ووكيعة بن الجراح ،

وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وآدم
ابن أبي إياس ، وإسحاق بن راهويه ، وروح بن عبادة ،
وعبد بن حميد ، وسنيد ، وأبي بكر بن أبي شيبة ،
وآخرين .

وبعدهم ابن جرير الطبري ، وكتابه أجل التفاسير
وأعظمها ، ثم ابن أبي حاتم ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن
مردويه ، وأبو الشيخ بن حبان ، وابن المنذر في آخرين ،
وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وليس فيها
غير ذلك إلا ابن جرير ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال
وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب ، والاستنباط ،
فهو يفوقها بذلك .

ثم ألف في التفسير خلائق ، فاختصروا الأسانيد ،
ونقلوا الأقوال بتراء ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس
الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسبح له قول يورده ،
ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء
بعده ، ظاناً أن له أصلاً ، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن
السلف الصالح ، ومن يرجع إليهم في التفسير .

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم ، فكان كل منهم

يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه ، فالنحوي تراه
ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، ونقل
قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته ، كالزجاج ،
والواحدي في « البسيط » وأبي حيان في « البحر والنهر » .
والأخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها
والأخبار عن سلف ، سواء كانت صحيحة أو باطلة ،
كالثعلبي .

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات
الأولاد ، وربما استطرده إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي
لا تعلق لها بالآية ، والجواب عن أدلة المخالفين ،
كالقرطبي .

وصاحب العلوم العقلية ، خصوصاً الإمام فخر الدين قد
ملاً تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها ، وخرج من
شيء إلى شيء ، حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة
المورد للآية ، قال أبو حيان في « البحر » : جمع الإمام
الرازي في « تفسيره » أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم
التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا
التفسير .

والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على
مذهبه الفاسد ، بحيث إنه متى لاح له شاردة من بعيد
اقتنصها ، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه : قال
البلقيني : استخرجت من « الكشاف » اعتزلاً بالمناقيش من
قوله تعالى في تفسير ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة
فقد فاز ﴾ وأي فوز أعظم من دخول الجنة ، أشار به إلى عدم
الرؤية .

قال السيوطي : فإن قلت : فأى التفاسير ترشد إليه ،
وتأمر الناظر أن يعول عليه ؟ قلت : تفسير الإمام أبي جعفر
ابن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم
يؤلف في التفسير مثله .

قال النووي في « تهذيبه » : كتاب ابن جرير في التفسير
لم يصنف أحد مثله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٥	مقدمة في علوم القرآن التي هي مصطلح التفسير
٩	المكي والمدني
١١	الحضري والسفري
١٣	أول منزل
١٦	آخر منازل
١٧	معرفة سبب النزول
١٨	ماتكرر نزوله
١٩	حفاظ القرآن ورواته
٢١	أئمة القراءات
٢٤	أنواع القراءات بحسب الثبوت
٢٧	تنبيهات مهمة
٢٩	كيفية القراءات
٣٠	التجويد
٣٢	آداب تلاوة القرآن
٤٣	قاعدة في معرفة غريبه
٤٧	ما وقع فيه بغير لغة العرب
٥٠	قاعدة تتعلق بالتعريف والتنكير
٥٢	قاعدة أخرى في التعريف والتنكير
٥٥	قاعدة في الأفراد والجمع
٥٧	الوجوه والنظائر

٦١	معرفة إعرابه
٦٣	حفظ القرآن من اللحن
٦٧	المحكم والمتشابه
٧٤	قاعدة في مقدمه ومؤخره
٧٦	العام والخاص
٨٠	قاعدة في مجمله ومبيئه
٨٢	قاعدة في ناسخه ومسوخه
٨٧	قاعدة في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض
٩٠	قاعدة في مطلقة ومقيده
٩٢	قاعدة في منطوقه ومفهومه
٩٥	قاعدة في وجوه مخاطباته
٩٧	قاعدة في حقيقته ومجازه
١٠١	قاعدة في الحصر والاختصاص
١٠٣	قاعدة في الإيجاز والإطناب
١١١	قاعدة في تشبيهه واستعارته
١١٤	قاعدة في كنياته وتعريضه
١١٧	الخبر والإنشاء في القرآن
١٢٢	مناسبة الآيات والسور
١٢٤	إعجاز القرآن
١٣٠	عناية العلماء بالعلوم المستنبطة من القرآن
١٣٤	الأمثال
١٤٠	الأمثال من الالفاظ القرآنية

الصفحة	الموضوع
١٤٢	القسم في القرآن
١٤٥	قاعدة في جدل القرآن
١٤٨	ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب
١٥٢	مفردات القرآن
١٥٤	الآيات المبهمة
١٥٧	تفسير القرآن وتأويله وبيان الحاجة إليه
١٥٩	أمهات مأخذ التفسير
١٦٤	طبقات المفسرين
١٧٣	فهرس الموضوعات

الناشر- المؤلف
مكة المكرمة

مطابع سحر ٧٠٧ / م / ٣
بتاريخ ١٤١٩ / ٧ / ٥ هـ